وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريـــــــــــــــــــــخ

التحولات الاجتماعية في السودان الغربي من الوثنية الى الإسلام ما بين القرنين (5 - 8)هـ/(11-14)م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطالبات:

- حفيظة جلالي
- مريم رزازقة
- هزار بوليفة

تحت إشراف الأستاذ:

- أحمد بن خيرة

نوقشت المذكرة علنا يوم : ../../ ....

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
السعيد عقبة	أستاذ محاضر(ب)	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
أحمد بن خيرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
سفيان قعيد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

السنة الدراسية: 1446هـ / 1447هـ - 2024م/2025 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريـــــــــــــــــــــخ

التحولات الاجتماعية في السودان الغربي من الوثنية الى الإسلام ما بين القرنين (5 - 8)هـ/(11-14)م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطالبات:

- حفيظة جلالي
- مريم رزازقة
- هزار بوليفة

تحت إشراف الأستاذ:

- أحمد بن خيرة

نوقشت المذكرة علنا يوم : ../../ ....

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
السعيد عقبة	أستاذ محاضر(ب)	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
أحمد بن خيرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
سفيان قعيد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

السنة الدراسية: 1446هـ / 1447هـ – 2024م/2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وعـــرفان

قال تعالى:

﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾

البقرة 32

الحمد لله الذي أنار طريقنا وثبت خطانا

وأمدنا بالصبر لإكمال المشوار.

والحمد لله رب العالمين الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته،

وأحيا نفوس العابدين بنور عبادته، هو العادل الذي لا يجور في حكمه.

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل والمشرف على هذا البحث

الأستاذ: الدكتور أحمد بن خيرة

الذي قدم لنا يد العون، ولم يبخل علينا بتوجيهاته الخاصة،

وآرائه العلمية ونصائحه المثمرة التي أفادتنا في موضوعنا،

فله منا جزيل الشكر وفائق الاحترام والتقدير.

كما نتقدم بالشكر

إلى أساتذة قسم التاريخ جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

إلى طلبة الفوج الثاني كل باسمه

إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

الإهداء

إلى روح جدي الطاهرة، أسكنه الله فسيح جناته

إلى من كانت الحضن الدافئ والكلمة الطيبة والدعاء الصادق،

إلى جدتي الحبيبة التي غرست في قلبي بدور المحبة والصبر والإيمان.

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى رمز الحياة وبلسم الشفاه، إلى

القلب الناصع بالبياض أمي الحبيبة.

إلى من طرق الحياة فرقت بينك وبين أمي كنت وستظل جزء من حكايتي

لك الفضل في وجودي، وفيما أصبحت عليه اليوم والدي العزيز.

إلى من كان سندي في الحياة، إلى من مدني الأمان في لحظات خوفي، والدفء في أوقات بردي، إلى من رافقني في طريقي زوجي العزيز.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة، والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي وأخواتي كل باسمه.

إلى فرحتي في الدنيا ومصدر سعادتي أبنائي: ياسر، محمد إياد، معاد، وكتكوتتي الغالية أفنان.

إلى أخوالي وخالاتي كل باسمه، إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

إلى زميلاتي في العمل دون استثناء وإلى رفيقتي دربي وزميلتي في هدا العمل: مريم وهزار.

جلالي حفيظة

الإهداء

الى من كان سبب وجودي، الى مصدر الحب والعطاء، الى نبع الحنان أمي الغالية

الى من غادر الدنيا وترك في قلبي فراغا كان السند ولازال النور الذي يهديني وان غاب أبي العزيز رحمه الله وجعل الجنة مثواه

الى اخواتي الذين كانو دوما السند والرفقة أنتم القوة التي أستمد منها عزيمتي نصر الدين، كمال، مراد

الى اخواتي الغاليات نور حياتي ورفقاء دربي: سليمة، صليحة، عقيلة، سماح.

إلى رقيق دربي وسندي منبع القوة وسر الهدى زوجي الغالي طارق

الى ابنائي وقرة عيني وأمل غدي: إسلام، إيناس، أماني والكتكوتة شهد.

الى كل أفراد العائلة كبير وصغير والى كل الأهل والأحباب

الى من شجعتني على مواصلى دربي صديقتي : خيرة بالساسي.

إلى رفقاء الدرب، الى كل من تذكرهم القلب ونسيهم القلم

أهدي هذا العمل المتواضع وأسأل الله أن يجعله نبراسا لكل طالب علم.

مريم رزازقة

الإهداء

الحمد لله وكفى وصلاة والسلام على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى أله وصحبه أجمعين.

أولا أحمد الله وأشكره لإتمامنا هذا العمل، ويسعدني أن أقدم ثمرة جهدي:

إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية.

إلى زوجي الغالي أب أولادي ورفيق دربي الذي تحدى الصعاب من أجلي وركب الأهوال لصنع لي

هودج الأمان ... إليك مقدم عبد الغفور

إلى أبنائي الأعزاء: ألاء التي كانت سندي ومعيني على إتمام دراستي وهذا العمل،

جنى، محمد مليك، والكتكوتة رنيم.

إلى من زرع في نفسي التحدي والإرادة ... إليك والدي العزيز

إلى التي تمنيت أن تشاركني لحظات السعادة في حياتي رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه

... إلى روح أمي الطاهرة.

إلى كل زملائي وزميلاتي في العمل (متوسطة العقيد محمد شعباني تقددين)

وأخص بالذكر السيد المدير عيسى البار الذي ساعدني كثيرا على إتمام دراستي.

إلى إخوتي كل باسمه.

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا.

هزار بوليفة

قائمة الاختصارات

الاختصار	الكلمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
تع	تعليق
تر	ترجمة
ط	طبعة
مج	مجلد
ج	جزء
م	ميلادي
هـ	هجري
ت	توفي
د . ط	دون طبعة
د .س	دون سنة
نش	نشر
ص	صفحة
ص ص	تعدد الصفحات
P	Page
Ed	Edition

مقدمة

شكلت منطقة السودان الغربي، التي تشمل أجزاء واسعة من غرب أفريقيا والتي تضم حوض النيجر الأعلى وبلاد مالي الحالية، فضاء حضاريا مهما في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، وتعتبرا مملكتي غانا ومالي من أبرز القوى التاريخية في هذه المنطقة، وقد تميز هذا المجتمع، قبل دخول الإسلام بطبيعة دينية وثنية تقوم على عبادة الأرواح والأسلاف وكان النظام الاجتماعي تحكمه العادات القبلية والتقاليد المحلية التي تحدد أدوار الأفراد داخل الأسرة والمجتمع.

وبالتالي سعى هذا البحث الإجابة على الإشكالية التالية:

إشكالية البحث:

- **إلى أي مدى ساهم الإسلام في إعادة تشكيل الأسرة والمجتمع في السودان الغربي خلال الفترة الممتدة، من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري؟ وكيف تفاعل المجتمع المحلي مع هذه القيم الدينية الجديدة في ظل استمرار بعض التقاليد الوثنية؟**

وقد انبثق عن الإشكالية الأساسية عدد من **الأسئلة الفرعية، ومنها:**

- ما الخصائص الاجتماعية والدينية التي ميزت المجتمعات الوثنية في السودان الغربي؟
- ما طبيعة التحولات التي أحدثها الإسلام في الأسرة والمجتمع؟
- إلى أي مدى استطاع الإسلام القضاء على المعتقدات الوثنية؟ وهل لازالت هناك عناصر من هذه المعتقدات سائدة وقائمة؟
- كيف ساهم الإسلام في بناء مجتمع أكثر وحدة واستقرار في المنطقة؟

أهداف البحث:

إن الهدف من هذه الدراسة يتمثل في:

– **دراسة واقع الأسرة** والمجتمع **في السودان الغربي قبل دخول الإسلام**، من حيث العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة والتنظيم الاجتماعي.

– **تحليل أثر الإسلام في تغير البنية الاجتماعية**، وتنظيم العلاقات داخل الأسرة والمجتمع وفق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

– **رصد التحولات في العادات اليومية** (كاللباس والطعام والمناسبات ....) وهذا بعد انتشار الإسلام.

– **توضيح التغيير في الأحوال الشخصية** مثل الزواج الطلاق الميراث مكانة المرأة في ظل القيم الإسلامية.

– **استكشاف مدى تفاعل المجتمع المحلي مع الإسلام** بين الرفض والقبول أو المزج بين القيم المحلية الوثنية والإسلام.

_**إبراز دور العلماء والتجار والقضاة** في نشر الإسلام وترسيخ مبادئه الاجتماعية داخل السودان الغربي.

_**المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية والاجتماعية الإفريقية** من خلال تسليط الضوء على نموذج السودان الغربي في التحول الديني والثقافي.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث فيما يلي:

- **إبراز التحول الحضاري** والديني **الذي شهده السودان الغربي**، من مجتمع وثني إلى مجتمع إسلامي، مما يساعد على فهم أعمق لتاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.
- **تسليط الضوء على أثر الإسلام في إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية**، وخصوصا الأسرة والعادات والحقوق، مما يجعلها مرجعا مهما في الدراسات الاجتماعية التاريخية.
- **تساهم في إبراز دور الفاعلين الاجتماعيين** (العلماء، التجار، القضاة) في نشر الإسلام، وإعادة تنظيم المجتمع وفق المبادئ الإسلامية.
- **تكشف عن التفاعل بين الموروث الثقافي الإفريقي والتعاليم الإسلامية**، مما يساعد على فهم كيفية توطين الإسلام سياقات ثقافية مختلفة.
- **تمد الباحثين بمادة تحليلية حول الأحوال الشخصية في المجتمعات الإسلامية الإفريقية**، كالزواج والميراث، ومكانة المرأة، وهي قضايا ما تزال ذات راهنية في النقاشات الفكرية المعاصرة.

أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع متعددة ويمكن تحديدها في النقاط التالية:

- **أهمية منطقة السودان الغربي التاريخية:** لأن السودان الغربي شكل مركزا حضاريا بارزا في إفريقيا جنوب الصحراء، وكان له دور محوري في انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في القارة.

- **قلة الدراسات المتخصصة في التحولات الاجتماعية:** معظم الأبحاث تركز على الجوانب السياسية أو الاقتصادية بينما الجانب الاجتماعي، وخاصة ما يتعلق بالأسرة والعادات، لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل.

- **رغبة في فهم التفاعل بين الديانات والعادات المحلية:** لفهم كيف أثر الإسلام في مجتمع كان يقوم على المعتقدات الوثنية، وكيف تفاعل المجتمع المحلي مع القيم الجديدة دون الانفصال الكامل عن موروثهم الثقافي.

إبراز دور الإسلام في تنظيم الحياة الاجتماعية:ـوخصوصا فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، ومكانة المرأة وبناء الأسرة، في ظل تحولات عميقة عرفها المجتمع خلال هذه الحقبة.

- **الإسهام في توثيق التحول الثقافي والديني في إفريقيا:**ـمن خلال تسليط الضوء على نموذج حي من نماذج التحول الحضاري الذي شهده السودان الغربي، بما يعمق الفهم بتاريخ الإسلام في إفريقيا.

فرضيات الدراسة:

- **ساهم الإسلام في إحداث تغيرات جوهرية في بنية الأسرة والمجتمع** في السودان الغربي، من خلال تنظيم العلاقات الاجتماعية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية.
- **أثر الإسلام بشكل مباشر في مكانة المرأة وحقوقها** من خلال إقرار حقوقها في الزواج والميراث والطلاق، مما أدى إلى تحسين وضعها مقارنة بالفترة الوثنية.
- **رغم انتشار الإسلام استمر حضور بعض التقاليد والعادات الوثنية** داخل المجتمع، مما أدى إلى نشوء تفاعل ثقافي بين المعتقدات القديمة والقيم الإسلامية.
- **لعبت الطبقات الفاعلة في المجتمع، كالعلماء والتجار والقضاة دورا رئيسيا** في نشر الإسلام وتعميق تأثيره الاجتماعي والثقافي.
- **كان التحول من الوثنية إلى الإسلام تدريجيا وليس جذريا. حيث** مر المجتمع بمرحلة من التداخل بين الديانتين قبل أن تترسخ القيم الإسلامية.

منهجية البحث:

إن هذه الدراسة تعتمد على منهج تاريخي تحليلي مقارن، يسعى إلى تتبع التحولات الاجتماعية والدينية التي شهدها السودان الغربي بين القرنيين الخامس والثامن الهجريين، في ضوء تأثير الإسلام على بنية الأسرة والمجتمع.

وقد تم توظيف المناهج الآتية:

المنهج التاريخي:

لتتبع الأحداث والتطورات التي عرفها المجتمع في هذه الفترة، من خلال دراسة الوثائق التاريخية، والمصادر الإسلامية، وروايات الرحالة، والجغرافيين.

المنهج التحليلي:

وذلك من خلال تحليل عناصر التحول الاجتماعي من الناحية الدينية والثقافية، واستيعاب التغير في القيم والأدوار داخل الأسرة والمجتمع.

المنهج المقارن:

وذلك من خلال المقارنة بين الوضع الاجتماعي قبل أي الفترة الوثنية، وبعد دخول الإسلام، من حيث العادات والتقاليد، والأحوال الشخصية، وكذا الحقوق والواجبات.

وقد عالجنا موضوعنا:

في الخطة التالية:

للإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة فقد اعتمدنا على الخطة التالية، حيث احتوى موضوع بحثنا على **مقدمة** و**ثلاث فصول** كل فصل يحتوي على عدة عناصر بالإضافة إلى **خاتمة وقائمة المصادر والمراجع وفهرس للمواضيع**.

فتناولنا في **الفصل الأول** والذي كان بعنوان: مملكتي غانا ومالي من التأسيس إلى السقوط لمحة تاريخية عن السودان الغربي وهو بمثابة تمهيد للموضوع والتطرق لأهم الممالك في الفترة الزمنية المدروسة، وهما مملكة غانا ومملكة مالي، وذلك من خلال التطرق لتأسيس كل منهما والعوامل التي مكنتهما على القوة والاستمرار ثم عرجنا لسقوطهما. ثم جاء **الفصل الثاني** والذي كان بعنوان: الأسرة والمجتمع في ظل النظام الوثني حيث تناولنا الأسرة وذلك من خلال أسس العلاقة الزوجية وأدوار المرأة والرجل، ثم تطرقنا للمجتمع وذلك بذكر طبقات المجتمع، ثم تنظيماته والقبيلة ونظامها، ثم تناولنا التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

الفصل الثالث كان بعنوان: الأسرة والمجتمع في ظل الإسلام حيث قسمناه إلى أربعة عناصر أولا العناصر الفاعلة في المجتمع فتطرقنا للفقهاء القضاة والتجار، وثانيا مكانة المرأة المسلمة في السودان الغربي وثالثا تطرقنا للتنظيم

الاجتماعي وفي الأخير الإسلام والتحولات الاجتماعية في السودان الغربي، وذلك من خلال العادات والتقاليد اللباس الأكل، الحقوق والواجبات والأحوال الشخصية.

وفي الأخير وضعنا خاتمة فقد تناولنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها في البحث، والإجابة على الاستفسارات والتساؤلات المطروحة في الرسالة وتوصيات وآفاق مستقبلية، ثم قمنا بوضع الملاحق، وقائمة المصادر والمراجع الواردة في البحث.

المصادر والمراجع:

لإنجاز هذا العمل اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع الهامة والتي تناولت في مضمونها معلومات مهمة تصب في مجملها في صلب الموضوع، والبعض الآخر جاء مكملا لجوانبه الأخرى، وفي مقدمتها المصادر التاريخية العامة، ومصادر الرحالة والجغرافيين، بالإضافة إلى الكثير من المراجع العربية والمعربة وغيرها نذكر منها:

1/ كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "لعبد الرحمان بن خلدون (732هـ-808 هـ/1332 م- 1406 م) والذي أفادنا في فهم البنية الاجتماعية والمجتمعات الإسلامية خاصة في تحليله للعصبية والدور الذي تلعبه في تشكيل الدول والمجتمعات.

2/ كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي أبي العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ/ 1418 م) يعد مؤلفه موسوعة استخدمنا منه الجزء الخامس، والذي تضمن معلومات كثيرة على بلاد السودان الغربي مثل تأسيس مالي، والمظاهر الاجتماعية فيها، وذكر حكامها وشرح كيفية دخولهم للإسلام، وقد أفادنا في إبراز دور القضاة والعلماء في التنظيم الاجتماعي.

3/ كتاب "صورة الأرض "لابن حوقل (ت 367 هـ/ 977 م) حيث قدم فيه معلومات واسعة عن الصحراء والعلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان، كما حدد طرق القوافل التجارية ومسالكها.

4/ كتاب " المسالك والممالك "للبكري (432-487 هـ/1040 -1094 م) قدم وصفا جغرافيا سكانيا واقتصاديا تناول فيه منطقة السودان الغربي قبل وأثناء دخول الإسلام، مما ساعدنا على فهم طبيعة المجتمعات الوثنية، وتحولاتها بعد الإسلام.

5/ كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "المعروف باسم الرحلة، لابن بطوطة وردت فيه معلومات ذات فائدة كبيرة عن مملكة مالي لأنه كان شاهد عيان على كثير من الأحداث أثناء رحلته إلى دولة مالي الإسلامية.

أما عن المراجع العربية التي تم استخدامها في موضوعنا فهي عديدة فنذكر منها:

1/ إبراهيم علي طرخان: له كتب كثيرة حول تاريخ المنطقة، ومن أهم ما كتب حول تاريخ إفريقيا ما وراء الصحراء "دولة مالي الإسلامية " "إمبراطورية غانا الإسلامية " حيث أفادنا كثيرا من خلال التعريف بالمملكتين.

2/ الدالي الهادي مبروك: في كتابه "التاريخ السياسي والاقتصادي فيما وراء الصحراء"

الصعوبات:

لا يخلو أي بحث جاد من الصعوبات والعقبات، حيث واجهتنا العديد منها في انجاز بحثنا هذا والتي نذكر منها:

- صعوبة الحصول على بعض المصادر الأجنبية الخاصة بمملكة مالي معظمها غير قابل للتحميل.
- تركيز المصادر الإلكترونية المتوفرة على التاريخ السياسي وإهمال الجانب الاجتماعي.
- عدم توفر الوقت الكافي وهذا بحكم العمل فنحن أستاذات.
- تغيير عنوان البحث والخطة في أخر لحظة من إنجاز البحث وهذا العائق الأخير كان من أبرز المشاكل التي واجهتنا في بحثنا.

وختاما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر والثناء الحسن له سبحانه وتعالى الذي وفقنا في انجاز هذا العمل، وإلى الأستاذ المشرف، وإلى كل من مد لنا يد العون في إتمام هذا العمل.

ندعو الله أن نكون قد وفقنا في كل ما كتبناه من غير ادعاء بالكمال وما الكمال إلا لله وحده.

الفصل الأول:

مملكتي غانا ومالي من التأسيس إلى السقوط

الفصل الأول: مملكتي غانا ومالي من التأسيس إلى السقوط.

أولا- مملكة غانا.

1- التأسيس.

2- مظاهر قوة الدولة وتمكينها.

3- أسباب سقوطها.

ثانيا - مملكة مالي.

1- التأسيس.

2- مظاهر قوة الدولة وتمكينها.

3- أسباب سقوطه

أولا– مملكة غانا:

لقد تعاقبت على منطقة السودان الغربي، إمبراطوريات وممالك لعبت دورا في ازدهارها حيث شملت إمبراطورية غانا أقدم حلقات التاريخ القومي لغرب إفريقيا فهي أول الإمبراطوريات التي قامت بالسودان الغربي حيث زحفت قبائل وجماعات عربية وبربرية إلى المنطقة واستحوذت عليها من قبل سكانها الأصليين[1]، وعملت على إدخالها الإسلام وقيام حركة تجارية واسعة، زادت من اتساع دائرة نشر الإسلام وبدأت المملكة في الضعف، وسقطت في نهاية المطاف تحت حكم. مملكة مالي الإسلامية والتي خلفتها كأكبر إمبراطورية في غرب إفريقيا.

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى تأسيس مملكتي غانا ومالي وعوامل ازدهارهما وكدا أسباب سقوطهما وكذلك الجاليات التي كان لها أثر كبير لتغيير الإمبراطورية من وثنية إلى إمبراطورية إسلامية وقبل ذلك ينبغي ذكر ولو لمحة موجزة عن غانا الوثنية.

غانا القديمة كانت تشمل جنوب موريتانيا و شرقي السنغال وجزءا من مالي و ربما غينيا أيضا فهي غير غانا الحالية، وهده الحدود بلغتها في أوج عزها وقوتها أما قبل ذلك فيذهب كثير من المؤرخين إلى أنها كانت في المنطقة الممتدة شمال منحنى النيجر الأعلى ومنابع نهر السنغال، أما في أيام ضعفها الأخير فقد بقيت حدودها هي الحدود القديمة أيضا ولكن الولايات أصبحت أكثر استقلالا بحيث أن التبعية أصبحت اسمية أكثر منها عملية[2] كانت عاصمتها أوكار، ومن ضمن مدنها أود غشت، وتيشت، وولاته (ايولاتن) ونيمة وتجيدارا، تيورو، وصوصو وغيرهم[3]

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي بن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة ،1400ه/1980م، ص695.
[2] عبد القادر زبادية: السودان الغربي وممالكه الإسلامية الكبرى، مجلة التاريخ، العدد9، الجزائر، 1980، ص58.
[3] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية، من مطلع القرن 6 إلى القرن 20م، دار هومة للنشر والطباعة، الجزائر ،2001، ص21.

1) تأسيس مملكة غانا:

تعد غانا من أقدم الممالك التي قامت في منطقة السودان الغربي[1] ، ويرجح ان هده المملكة قامت خلال القرن الثالث الميلادي وامتد عمرها حتى القرن الثالث عشر الميلادي ،واسم غانا في الأصل لقب ملوكها ،ثم اتسع مدلول اللفظ حتى صار يطلق على كامل المملكة[2] أي يتعدى الأمر بعد ذلك ليشمل الرقعة الجغرافية التي يتربع عليها الإقليم [3]، وقد اختلف المؤرخون والرحالة في تسمية مملكة غانا حيث نجد الحميري يقول :"أن مدينة الملك تسمى غانا"[4]، ويقول ياقوت في كتابه (معجم البلدان): "غانا كلمة عجيبة لا أعرف بها مشاركا من العربة وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب من صلة ببلاد السودان..... فمنه يترددون إليها"[5]، وقد أشار البكري في كتابه:" أن حدود مملكة غانا الشمالية الغربية كانت تمتد حتى حدود مدينة سلى على نهر السنغال وبينها ومدينة غانا مسيرة عشرين يوما في عمارة السودان القبلية"[6].

ومما يرجح دخول هده المنطقة تحت سلطة غانة، وأنها كانت تقع على نهاية الطرق التي تعبر الصحراء، وتنتهي على نهر السنغال. حيث يقول القلقشندى في كتابه (صبح الأعشى) أن بلاد غانا تقع: "غربي إقليم صوصو وتجاور البحر المحيط الغربي وقاعدته- أي قاعدة هذا الإقليم – مدينة غانا وهي محل سلطان بلاد غانا"[7]

ويقال أن مملكة غانا اقتبس اسمها من المدينة التي كانت عاصمة للدولة، وبعد القرن التاسع الميلادي عرفت العاصمة باسم كومبي صالح وأطلقت كلمة غانا على المدينة لأنها مركز القيادة العسكرية حسب

---

[1] مطر سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار الكتب الوطنية، (د،ط)، بنغازي،2004، ص55.

[2] عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص57.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/1038-1121م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، لبنان،1988، ص108.

[4] محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت ،1984، ص408.

[5] ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1977، مج 4، ص184.

[6] أبو عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ص 64.

[7] محمد علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، (د، ط) لبنان،2007م، ص75

لغة السوننك (هي الأسرة الأولى التي حكمت غانا مند القرن الرابع إلى القرن الثامن الميلادي بعد استيلائها على السلطة من سكانها الأصليين وطردهم منها) وبعدها ليتسع مدلولها ليطلق على كامل الإمبراطورية[1].

ويرجح دخول هده المنطقة تحت سلطة غانا، أنها كانت تقع على نهاية الطرق التي تعبر الصحراء، وتنتهي على نهر السنغال. حيث يقول القلقشندى في كتابه (صبح الأعشى) أن بلاد غانا تقع:" غربي إقليم صوصو وتجاور البحر المحيط الغربي وقاعدته– أي قاعدة هذا الإقليم – مدينة غانا وهي محل سلطان بلاد غانا".[2]

وامتدت حدودها في فترة اتساعها من النيجر شرقا إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، وجاوزت من شمال الصحراء الكبرى.

تعد حكومة البيضان أول حكومة قامت في غانا، يقال إنها ترجع إلى حوالي القرن الأول الميلادي ثم صارت ذات بأس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادي، وفي بعض المصادر أن جماعة من المهاجرين البيض الساميين جاءت من الشرق، أو من بلاد المغرب ومن برقة بصفة خاصة والتي استقرت بها واستطاعت أن تبسط نفوذها على الوطنيين الدين عاشوا بينهم ظهر بين البيض زعيم قوي يدعى كارا استطاع أن يؤسس دولة نواتها منطقتا اوكاو وهود. والمحقق أن حكام غانا الأوائل من البيض فيقول السعدي في هدا الصدد: "وهم يبيضان في الأصل"[3]،غير أن الشك يدور حول أصوله الغامضة ،هل هم من اليهود أم من البربر، حيث يقول السعدي: "ولا نعلم أصلهم" والراجح أنهم يكونون من البربر الدين اختلطوا بالزنوج ، وعن أهل غانا أنفسهم يقولون إن بربرية كانت تحكمهم مند زمن بعيد، والخلاصة أن حكومة غانا الأولى من البيض وأن عدد ملوك هده الأسرة بلغ حوالي 44

[1] أبو عباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة،1915، ج5، ص284.

[2] محمد علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، (د،ط) لبنان،2007م، ص75

[3] إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1390هـ–1970م، ص26.

ملكا فيقول السعدي: "وأول سلطان في تلك الجهة هو قيمغ ، ودار إمارته غانا، وهي مدينة عظيمة في أرض بأغن"[1] .

والظاهر انه لم يعرف سوى ثلاثة من ملوك الحكومة الأولى وهم: قيمغ، وكارا وكنسعى، وظل ملوك هده الحكومة يحكمون إمبراطورية غانا حتى نهاية القرن الثامن الميلادي والتي اتسع نفوذها حتى صار يشمل المساحات الممتدة بين أعالي نهر السنغال وأعالي نهر النيجر كما ذكرنا سابقا.

2) مظاهر قوة الدولة وتمكينها:

بلغت إمبراطورية غانا ذروة مجدها، وعظمتها واتساعها، خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر الميلادي إلى قرب أواخر القرن الحادي عشر، وشملت الأقاليم الهامة بجانب أوكار وهود، باس يكور Bassi kuru، ووجا دو في الشرق، وديارا Diarraفي الغرب وكانياجا موطن الصوصو في الجنوب الشرقي[2].

وفي الواقع أن مدى اتساع إمبراطورية غانا ليس معروف بالضبط ، ولكن المحقق أن نفوذها كان واسعا ، بحيث أنها كانت صاحبة السيادة و النفوذ في جميع المساحات الواقعة بين النيجر و المحيط الأطلسي، وصارت أعظم قوة سياسية في السودان الغربي ، ويمكن القول بصفة عامة إنها امتدت من ناحية الشمال، وخضع لها أغلب قبائل الصحراء الجنوبية، وربما وصلت غزواتها إلى منطقة إدرار، وامتدت من ناحية الغرب إلى أعالي السنغال، وحدود مملكة التكارة، ومن الشرق إلى قرب تنبكت ،ومن الجنوب الغربي إلى أعالي النيجر وأعالي السنغال و منطقة الذهب في ونقار (ولكنها لم تتحكم في ونقار نفسها[3].

وتميزت غانا بتنوع مناخها وخصوبة تربتها، ووفرة الثروة الحيوانية والثروة السمكية بسواحلها الأطلسية، وأنهارها الداخلية (السنغال – النيجر). وهدا فضلا على كونها خزانا للمعادن كالذهب و النحاس و الحديد ، و التي شكلت رواجا مهما في تجارة القوافل الصحراوية التي ربطت بين غرب

[1] عبد الرحمان بن عبد الله السعدي: تاريخ السودان، المكتبة الأمريكية والشرقية، باريس 1981، ص9.

[2] إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق، ص29.

[3] المرجع نفسه، ص30.

إفريقيا و شمالها في العصور الوسطى وعن التجارة المربحة تحدث عدد من الجغرافيين والرحالة الغرب أمثال ابن بطوطة وابن حوقل الذي أشار إلى غنى أهل غانا جراء امتلاكهم لمعدن الذهب :" وغانا أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر المنار وكانت إمبراطورية غانا تصدر الذهب والرفيق والجلود والعاج والكولا والصمغ وكدا القطن والقمح تستورد الملح والنحاس الأحمر والفواكه المجففة، والودع والمسابح للزينة.[1]

وكانت تجارة الذهب مصدر ربح عند إمبراطورية غانا كقول ابن الفقيه في كتابه بلاد غانا:" نبت فيها الذهب نباتا في ا لرمل عند بزوغ الشمس، ومعدن الفضة كان يستخرج من منطقة يقال لها تدمير، أما الزئبق فيستخرج من مدينة يقال لها حيان."[2]

كما تحدث ياقوت الحموي بأن غانا: "مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان ونظرا لأهميتها الاقتصادية كان التجار يجتمعون بها من كل الجهات ومنها يصلون إلى بلاد التبر ولولاها لتعذر الوصول إليه"[3].

كما أشار ابن حوقل إلى أهل غانا جراء امتلاكهم لمعدن الذهب بقوله:" وغانا أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر المنار "، وفي موضع أخر يقول: "وحاجتهم أي حاجة أهل الغنى إلى ملوك أود غشت ماسة من أجل الملح الخرج إليهم من ناحية الإسلام فإنه لا قوام لهم إلا به بلغ الحمل الملح في داخل بلاد السودان وأقطابه ما بين 200و 300 دينار[4].

إن عظمة غانا التاريخية وشهرتها وثراها يعود أساسا إلى أرباحها التجارية الطائلة وبالإضافة إلى تحكمها في الطرق والقوافل المؤدية إلى مناجم الذهب، وتعد مدينة أود غشت إحدى حواضر غانا، وكانت مركزا تجاريا ضخما في إفريقيا المدارية [5]،حيث وصفها ابن حوقل بقوله: "أود غشت مدينة لطيفة أشبه ببلاد الله ببكة، بين جبلين ذات شعاب تقع في شمال حوض السنغال، وهي أول ما يلقاه

[1] المرجع نفسه، ص65.

[2] ابن عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، البلدان، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت ،1416هـ /1996 م، ص136.

[3] ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص184.

[4] أبي القاسم ابن حوقل النصي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان،1992، ص98.

[5] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ،1999، ص20.

من يعبر الصحراء الكبرى قادما من الشمال، من كبار المدن ذات الأسواق العامرة ومرد غناها كونها السوق الكبيرة للذهب. أو كما يسميها غبن خلدون صنهاجة الجبل الثاني[1]

قال البكري: "ودهب أود غشت أجود من دهب أهل الأرض". وفي موضع آخر يقول: "أن معظم الناس هناك كانوا من الصنهاجيين، ولكنهم كانوا خاضعين لسلطان غانا" [2]، وتأكد إسلام الطوارق في القرن الثالث الهجري، ودخلوا في الإتحاد الذي أقامه الأدارسة بزعامتهم[3].

تتضح الأوضاع السياسية بإمبراطورية غانا قبل انتشار الإسلام من خلال نظام الحكم فقد كان النظام مركزيا ،إلا أن في بعض المقاطعات وراثيا مقتصرا على أسرة واحدة تتوارث حكم المنطقة، وبعض المقاطعات التي انتهزت الفرص لاستغلال السلطة المركزية في كومبي صالح، وقد أحدث الإسلام فيهم تغييرا جذريا في حياتهم بل في تاريخ المنطقة كلها، فلم تعد القبائل تنصرف إلى الجنوب كما كانت تفعل دائما، بل تحركت بدافع الجهاد، وتأكيدا لإسلامهم الجديد ولذلك حملوا الإسلام إلى أود غشت، وكانوا العامل الأساسي لثقافته وتاريخه[4] والسباقين لإدخال الإسلام إلى أودغشت قبل المرابطين ويقول البكري: "وكان صاحب أود غشت في عشر الخمسين وثلاثمائة تين بروتان بن ويسو كوين نرار رجل من صنهاجة ،وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان ،كلهم يؤدي إليه الجزية."[5]

أما عاصمة هده الإمبراطورية فقد ازدهرت من حكومة السوننك إلا أن تأسيسها يعود على عهد حكومة البيض الأولى ويقال إنها بنيت حوالي عام 300م، وواصلت تنمو بالتدريج.[6]

[1] حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة ،1957، ص ص95-96.

[2] أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إ إفريقيا والمغرب، الجزائر،1857، ص176.

[3] حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة في إفريقيا، دار العمل العربي، القاهرة،1986، ص112.

[4] نفسه، ص112.

[5] البكري: نفسه، ص860.

[6] إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص31.

وكان لاعتناق غانا الإسلام دور كبير في ازدهار المملكة وظهرت المؤثرات العربية الإسلامية واضحة فيها. ومن المرجح أن الإسلام قد دخل إلى غانا قبل حركة المرابطين حيث يقول القلقشندى عن إسلام أهلها: "وكان أهلها أسلموا في أول الفتح "[1]. إن نمو الحي الإسلامي بعاصمة غانا أو المدينة الإسلامية صار مدينة كبرى قائمة بذاتها، وليسمن المعقول أن تكون قد ظهرت مرة واحدة أو خلال وقت قصير بحيث أصبحت تضم اثني عشر مسجدا، وإنما صارت موطنا لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم. ومن هنا نرى أن ظهور الإسلام وانتشاره تدريجيا في كان قبل حركة المرابطين التي دفعت هدا الانتشار دفعة قوية، ويقول البكري في هذا الصدد يصف عاصمتها كومبي صالح*:"..... ومدينة غانا مدينتان سهليتان إحداهما المدينة الإسلامية التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة، فيها اثني عشرة مسجدا، إحداهما يجتمعون فيه – أي يؤدون فيه صلاة الجمعة – ولها الأئمة والمؤدون، وفيها فقهاء، وحملة علم، وحوليها أبار عذبة منها يشربون وعليه كبيرة، فيها لخضروات..... ومدينة الملك على بعد ستة أميال من هده وتسمى الغابة."[2]

ولقد كان للمسلمين مكانا بارزا في بلاط الإمبراطورية فمنهم أغلب الوزراء والكتاب وأصحاب بيت المال وتراجمه الملك)، وظلت دولة غانا قوية حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، حيث بدأ الضعف والتفكك يسري في كيانها نتيجة عدة ظروف حلت بمناطق شمال حوض السنغال مما حمل الناس الهجرة والتفرق.[3]

3) أسباب سقوطه مملكة غانا الوثنية:

اختفت إمبراطورية غانا، عن مسرح التاريخ السياسي، في غرب إفريقية في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، غير أن عوامل الانهيار قد بدت قبل ذلك بأمد طويل ونذكرها في:

[1] القلقشندي: المصدر السابق، ص284.

[2] البكري: المصدر السابق، ص ص،175،174.

[3] المصدر نفسه، ص175.

العامل الطبيعي: ونقصد به الجفاف الذي حل بالمناطق الواقعة شمال حوض السنغال، قبل القرن الحادي عشر الأمر الذي أدى بالناس إلى الهجرة والتفرق[1]. وذلك بحثا عن أراض أكثر خصوبة وحرية.

العامل الحربي: يتمثل في الغزو الحربي على غانا وما يعقبه من انفلات في زمام السلطة واختلال الأمن والاستقرار في الداخل وخروج الإمارات والممالك الخاضعة لها، وانتشار الفوضى داخل مملكة غانا. ويرجعها بعض المؤرخين الغربيين إلى الغزو ألمرابطي على غانا نهاية القرن الحادي عشر أول مراحل الغزو، والسيطرة على السودان لمدة عشر سنوات معتمدين على الجهاد والرباطان والدعوة بدأت تفقد سيطرتها على الوضع، وعودة الروح القبلية والشقاق، وخاصة في ظل قلة الولاء لأسرة السوننك الحاكمة، وانتشار الفوضى وقطاع الطرق، الدين أصبحوا يستولون على السكان ويبيعونهم في الأسواق. فبعدما سيطر المرابطون على الأوضاع في السودان بدأت الدعوة تفقد سيطرتها على الوضع انبثقت عنها انقسامات قبلية وتمرد على رئاسة أي زعيم من لمتونه، ثم انتقل الأمر على جداله [2]ويمكن القول أن تراجع غانا وانحطاطها يعود إلى مجموعة من العوامل، وغزو المرابطين لم يؤد إلى اختفاء إمبراطورية غانا وإنما أدى إلى تحويلها إلى الإسلام ثم كان غزو الصوصو في مطلع القرن الثالث عشر، وهو الذي أنهى إمبراطورية غانا، وأخيرا جاء الغزو الثالث قبيل منتصف القرن الثالث عشر. [3]

إن فتح المرابطين لبلاد غانا لم يترتب عنه زوالها بل كانت نهاية غانا على يد قبائل الصوصو الوثنية (وهم فرع من الفولانيين) هاجر من بلاد تكرر، وكون طبقة حاكمة في إقليم كانياجا التابع لإمبراطورية غانا ،وظل حكام الصوصو يدفعون الجزية لغانا فترة طويلة [4]واستغلوا فتح المرابطين لغانا حين أعلنوا استقلالهم انفصالهم، وأخذوا يتوسعون فيما حولهم حتى انتزعوا إقليم ديارا من غانا الإسلامية في أواخر القرن الثاني عشر[5]، وفي مطلع القرن الثالث عشر استولى أعظم أباطرة

[1] إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص51.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص136.

[3] لمرجع نفسه، ص ص،53،51.

[4] الهادي مبروك دالي: المرجع السابق، ص46.

[5] إبراهيم طرخان: المرجع نفسه، ص54.

الصوصو وهو سوما نجور على العاصمة كومبي صالح عام 1203م[1]، وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين، فتفرقوا في البلاد كما أن عددا كبيرا من المسلمين من سكان العاصمة الغانية ،هاجروا بزعامة رجل اسمه إسماعيل واتجهوا إلى مدينة ولاته، حيث أقاموا مركزا تجاريا لهم وسرعان ما ازدهرت هده المدينة حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في السودان الغربي، وقام سوما نجور وبتوسيع إمبراطورية الصوصو.[2]

فكان لهذان العاملان دورا كبيرا في تغيير الخريطة السياسية لمنطقة الحوض الاعلى لنهر النيجر والسنغال فظهرت عن تفكك مملكة غانا ممالك سودانية جديدة خرجت من رحم غانا، لكنها نافستها على زعامة السودان الغربي، الذي ظلت متربعة على عرشه لمدة أكثر من سبعة قرون بدون منازع. فلقد كان القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر ميلادي، هو قرن التحولات بالنسبة لمنطقة النيجر والسنغال العلويين، بالإضافة إلى انتشار الإسلام في المنطقة، فإنه شهد ميلاد قوى سياسية جديدة تمخضت عن سقوط غانا، حيث انتقلت السيادة من السوننكي إلى الصوصو، والمالكي، والسونغاي والتكرر.[3]

أما المصادر المحلية أرجعت أسباب الانهيار إلى عوامل داخلية تمثلت أساسا في خصوب مادة الذهب من أماكن الاستخراج الخاصة لغانا مصاحبة تحول في المراكز التجارية، حيث حلت ولاته، محل مدينة غانا المدينة، ثم انتقلت تدريجيا إلى مدينة تنبكت في الشرق والتي أصبحت أهم مركز تجاري مع حلول القرن السابع الهجري، الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي.[4]

إضافة إلى كل ذلك تأسيس دولة إسلامية جديدة هي إمبراطورية مالي وختاما ان دور المرابطين في السودان الغربي تعجيلهم ليوم سقوط غانا، أن جهادهم كان السهم القوي الذي وجه إلى الوثنية، والشرك في هده المنطقة، وهو الذي قرب من مصرعها في تلك الديار، ولذلك يعتبر تدخلهم حلقة من حلقات الجهاد ضد الوثنية، ولم يكن هدف جهادهم ماديا بحتا، كما يدعي عدد من الأوربيين الدين يحاولون تشويه

[1] شوقي عطا الله: الجمل تنبكت وعلاقتها بالمغرب، ضمن كتاب المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، سلسلة، ندوات ومقالات، (2) الرباط،1992، ص-ص،41-57.

[2] إبراهيم طرخان: المرجع نفسه، ص54.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص5.

[4] شوقي عطا الله: المرجع السابق، ص ص41-57.

مسيرة الإسلام بقولهم: "إن دخول المرابطين إلى منطقة السودان الغربي ومحاولتهم إسقاط غانا كان سببه الذهب الأصفر.

ثانيا– مملكة مالي.

إن انسحاب المرابطين من غانا، أوجد فراغا سياسيا، جعل عددا من الأقاليم التابعة لها تنفصل عنها، وتعلن استقلالها[1] وكانت نهاية دولة غانا الإسلامية على يد قبائل الصوصو، هم فرع من الفولانيين، كانوا يقطنون جنوبي مملكة غانا غربي الحوض الأدنى للنيجر[2] في إقليم كان جابا، حيث اغتنموا الفرصة للمرة الثانية واستعادوا استقلالهم واحتلوا مدينة ديارا.[3]

وفي مطلع القرن الثالث عشر استولى أعظم أباطرة الصوصو وهو "سوما نجارو"somanguroعلى عاصمة كومبي صالح 1203م[4] وكان وثنيا فاضطهد المسلمين الدين اضطروا أن يفروا إلى ولاته، حيث أقاموا مركزا تجاريا لهم، تمكن سوما نجارو من الاستيلاء بعد ذلك على دولة غانا، ثم اصطدم في الجنوب برجال دولة إسلامية تدعى الماد نجو النامية في كان جابا، حيث قتل سوما نجارو وأولاد الملك الماد نجي "ناري فمغان" وقد افلت منهم صغيرهم، والدي عرف باسم "ماري جاطة "الذي على يده كانت نهاية إمبراطورية الصوصو، و إقامة ثاني دولة إسلامية في أفريقيا الغربية وهي دولة مالي، والتي سنتطرق لها من حيث التأسيس والازدهار وعوامل السقوط والانهيار.[5]

[1] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص48.

[2] حسن مؤنس: المرجع السابق، ص101.

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص25.

[4] إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص76.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص293؛ نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجعه عمر الحكم، كونا كري، مكتبة الأطلس، دمشق ،1969، ص21.

1/ تأسيس مملكة مالي:

بعد تفكك إمبراطورية غانا الوثنية عام 406هـ /1076م ،بفعل جهاد المرابطين وانسحابهم من المنطقة، وجد فراغ سياسي جعل عددا من الأقاليم تنفصل عنها، وتكون دويلات مستقلة، وتمخض عن هدا الصراع من أجل السلطة أن آل أخيرا إلى قبائل الماد نجو المسلمة [1]المندية: حيث تعني كلمة مندي مركز إقامة السيد، أما كلمة مادنج تعني ابن الأم ،وتنتشر هده القبائل في السنغال والنيجر وساحل العاج وغينيا ،غامبيا وغانا وسيراليون، وهم من أعظم أجناس أفريقيا ، وأشدهم دكاء، وأكثرهم مهارة وأمانة وكذلك من أنشط الدعاة إلى الإسلام وانتشر هدا الدين بين الجماعات المحيطة بهم[2] حيث قاد جموع الماد نجو حرب إسلامية حقق فيها كثير من الانتصارات، ونشر الإسلام بين كثير من الوثنيين، وكذلك تكوين مملكة مالي الإسلامية بقيادة سنديانا كيتا، سيرد ذكره فيما بعد.

وهذه القبائل قبل وصول الإسلام إلى مالي كانوا على شكل أسر حاكمة، أسرة التروين في حوض السنغال الأعلى، وأسرة الكوناتين شمال بلاد التروبين، وأسرة كايتا (كيتا)والتي لا نعرف شيئا محققا عن أصلها[3] فهناك من يقول أنها جاءت من اليمن[4] والمؤثرات الشعبية في مالي تقول أن منشئها كان رجلا مسلما من الماد نجي أو الفولا[5] الخاضعين لهم، يسمى موسى ديجيو، تولى عرش مالي فيما بين

سنتي (1200م – 1218 م)، وهناك رواية تقول: أنه من سلالة بلال الحبشي مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم،وإنه جاء طفلا من الحجاز، أو جاء أبوه على بلاد الماد نجي وتزوج منهم، واستقروا في بلاد التكاررة، دخل في عداد جماعة البولا [6] حيث دخل ابنه في عداد هده الطبقة التي مكنته من الوصول إلى

[1] الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا دار الملتقى للطباعة والنشر ،1996، ص23.

[2] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط2، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1975، ص68.

[3] حسن مؤنس: المرجع السابق، ص105.

[4] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي الاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، المرجع السابق، ص53.

[5] الفولا: تنتشر في النيجر، السنغال، غينيا، نيجيريا والكاميرون، ودخلت الإسلام في عهد مبكر وهي قبائل مسالمة ذات مزاج معتدل وأخلاق طيبة.

[6] البولا: الجماعة العسكرية المرتزقة، كان ملوك أسرة كيتا يعتمدون عليهم.

السلطان، وأنشأ أمرة كيتا هي لقب إتخده محرف عن عبارة عربية ماد نجية، هي:"الله – كوى" أي الله خالق كل شيء، ثم حرفت لأكوى ثم الأكويتا ثم كيتا (كاتيا).[1]

اتخذ موسى ديجيو مدينة جريبة في إقليم كان جاب عاصمة له أنجب موسى عددا من الأولاد فخلفه أكبرهم ناري فان ماجان أو ناري فمغان الذي ظل يحكم حتى سنة 1230م، وقد بدل جهدا كبيرا في نشر الإسلام بين رعيته.[2] بعد وفاته خلفه ابنه كوننيوغو– سمبا – كايتا وفي أيامه قام سوما نجور ومالك الصوصو بهجوم عنيف على دولة مالي و هزم الماندنجين فقتل ملكهم وعشرة من إخوته، ولم ينج من هدا المصير إلا ابنه الأصغر سنديانا، الذي استطاع أن ينتصر على ملك الصوصو الوثني في معركة حاسمة عند كيريتا 1235م قرب باماكو الحالية، وطرد الصوصو من بلاد مالي و أعاد الاستقلال إلى بلاده ،وتربع على عرشها، وأطلق عليه لقب ماري جاطة معناها الأمير الأسد أو أسد مالي، و بهذا النصر استولى ماري جاطة على الأنحاء التابعة لغانا وأقام على أنقاضها دولة إسلامية عرفت بمالي[3] أو مل فقد تناولها عدد من المؤرخين حيث أطلق عليها البكري (ملل)[4] وابن بطوطة حينما قال: ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة، وهو على عشرة أميال من مالي[5] السعدي يعرفها (ملي)[6] ،حسن الوزان يسميها مالي[7] وكذلك عرفت ببلاد التكرر، حيث يقول القلقشندي :"مالي المعروفة عند العامة ببلاد التكرر [8]" حيث وضع كيفية نطقها الصحيح إد قال: مالي بفتح الميم وألف بعدها، ورسم حروفها ابن خلدون: تسمية مالي كانت تبعا لأقدم مدينة عرفت بهده المنطقة وهي مدينة Malel (ملل).[9]

ابتداء من عام 1255 م تلقب أمراء الماندينجو بلقب منس (السلطان) وشرعوا في تنظيم دولتهم، وبنو مدينة نيابي كعاصمة لهم على نهر السانكاراني شرق غينيا الحالية، وهو أحد روافد نهر النيجر، وقسم أمراء مالي الدولة إلى مقاطعات وأقاليم، وعينوا على كل منها حاكما من العائلة المالكة، ومن زعماء

[1] حسن مؤنس: المرجع السابق، ص 105.

[2] حسن مؤنس: المرجع نفسه، ص106.

[3] أحمد شلبي، المرجع السابق 10، ص، 241

[4] البكري، المغرب، المصدر السابق، ص، 675

[5] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص، 681

[6] السعدي، المصدر السابق، ص، 875

[7] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 164.

[8] القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص، 282

[9] ابن خلدون العبر: المصدر السابق، ج6، ص282.

القبائل المرتبطين بالعائلة المالكة عن طريق المصاهرة، ورثوا الحكم لأبنائهم، وسمح ذلك بالاستقرار في الحكم والإدارة.[1] كما قام بتوسيع رقعة مملكته حيث سيطر على مناجم الذهب، وعلى جان جارات وبامبوك وبوتدي، واتجه نحو الغرب متوغلا إلى أن وصل نهر غامبيا وبلاد التكرر، وبلاد الجلف[2] لقد قضى في حكم البلاد قرابة عشرين سنة إلى أن توفي سنة 653 هـ/1255م، وعند وفاته كانت مملكة مالي قد اتسعت في حدودها إلى بلاد الولوف غربا عند المحيط الأطلسي، وإلى أواسط النيجر شرقا، وفوتا جالون إلى كومبي صالح عاصمة غانا السابقة شمالا[3]. بعد عهد مليء بالانتصارات العظيمة التي حالفت جيشه، وأعان العلماء في ظل الدولة الجديدة على نشر العلم والإسلام، ويضيف ابن خلدون أنه بذلك اعتبر سلطان مالي وهابتهم أمم السودان وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وأفريقيا.[4] تاركا وراءه مملكة واعدة كان له الفضل في تأسيسها والتي كانت قبل أن يستلم مقاليد الحكم فيها عبارة عن إمارة صغيرة في إقليم كان جابا وأصبحت على يده مملكة قائمة بذاتها بعد انتصار كيرينا سنة 1235 م.[5]

ومن أشهر ملوك مالي: سنديانا، منسا علي، منسا موسى، منسا سليمان وآخرون، ويعتبر عهد منسا موسى من أزهى عهود الدولة وهدا سنتطرق له فيما بعد.

وقد شهدت المملكة عبر مر عصورها اتساعا ملحوظا، حيث قدر القلقشندى مساحة مالي بقوله: "أن هده المملكة مربعة، طولها أربعة أشهر أو أزيد، وعرضها مثل ذلك[6]

امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد برنو أي نيجيريا شرقا، ومن جنوب المغرب الأقصى شمالا إلى ما يقرب من المحيط جنوبا[7] وضمت المملكة في أيام عزها أراضي الدول المعروفة الآن باسم: السنغال وغامبيا وموريتانيا، بالإضافة إلى جمهورية مالي الحالية [8]

---

[1] يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 34.

[2] الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، المرجع السابق، ص53.

[3] ابن خلدون: المصدر نفسه، ص200.

[4] أحمد شلبي: المرجع نفسه، ص 243.

[5] أحمد طاهر : أفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار العرفان، القاهرة، ص72.

[6] القلقشندي: المصدر السابق، ج282،5.

[7] صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، ص5.

[8] إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية في القارة الأفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984 م، ص 240.

إن تأسيس مالي على يد أسرة عربية كيتا العربية لدليل واضح على وجود جاليات عربية بها استمرت إلى غاية نهاية الإمبراطورية وساعدت على نشر الإسلام بها.

4) مظاهر قوة الدولة وتمكينها:

من أشهر ملوك مالي: سنديانا، منسى علي، منسى موسى، منسى سليمان، وآخرون. ويعتبر عهد منسى موسى(712-737 هـ/1312-1337م) وأخيه منسى سليمان (741-761هـ/ 1341-1360م) المرحلة التي بلغت فيها إمبراطورية مالي قمة ازدهارها وأوج عظمتها، وفيها عم الأمن والاستقرار كل الإمبراطورية، بسبب انتظام المؤسسات الإدارية، واعتمادها في الحكم على رؤساء القبائل من حيث ضمان الأمن، مما سمح للقوافل والتجار بالحركة الواسعة وازدياد واردات الحكومة، مما أعطاها الفرصة لتكوين جيش قوي أعتبر من أقوى الجيوش في أفريقيا الغربية كلها [1]

ارتبط عهد القوة والازدهار بشخصية منسى موسى (712-737هـ/1312-1336م)حيث بلغت مالي في عهده درجة كبيرة من القوة والثروة وزيادة النفوذ، حيث وصل قمة التوسع إذ استولت جيوشه على مملكة وصنغاي الواقعة على نهر النيجر وضمت عاصمتها (جوا) ومدينة تمبكتو التي كانت مركزا ثقافيا عظيما[2] وامتدت رقعة المملكة من بلاد التكرر غربا إلى دندي شرقا، ومن ولاته شمالا في الصحراء إلى مرتفعات فوتاجولون جنوبا، وأصبحت تشمل مالي الحالية، ومن قرب سواحل المحيط الأطلسي إلى مناجم النحاس في تكده عند شرق النيجر، وامتدت من مناجم الملح في نغازة في الصحراء شمالا إلى مناجم الذهب في ناقرة في الجنوب الغربي، وسارت حدودها الجنوبية مع منطقة الغابات الاستوائية.[3] وقد عرف منسى موسى بعدة صفات فابن خلدون يقول: "كان رجلا صالحا "ويرى كعت أنه كان سلطان تقي بعباد يعتق كل يوم ألفا[4] أما السعدي فيقول: "أنه صالح عادل لم يكن فيهم

[1] أحمد شكري: الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي ،1230-1430 م، المجتمع الثقافي، أبو، ط1999،1، ص187.

[2] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط2، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1975، ص245.

[3] المرجع نفسه: ص 145.

[4] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص58.

مثله في الصلاح والعدل[1] وابن بطوطة يذكره على أنه سخي كريم يحب العلماء البيضان ويجزل لهم العطاء[2] ففي عهده شهدت مالي أوج رخائها وازدهار حيث استقطبت شهرتها الكثير من التجار والعلماء والمسلمين الدين ساهموا في نهضتها الاقتصادية و الثقافية [3]

فقد ركز منسى موسى على بناء الجوامع والمدارس لتحفيظ القرآن واقتنى عدد كبير من الكتب من البقاع المقدسة فهو يعتبر راعيا للأدب فقد نشأ في رعايته الأدب الزنجي الناطق بالعربية[4]

ساعد انتشار الإسلام في إمبراطورية مالي نعلى ازدهار العلاقات التجارية مع بلدان المغرب العربي و مصر، وكذلك وفود مجموعة كبيرة من العلماء من مناطق متباينة: المغرب الأقصى، تونس، مصر ،الأندلس.[5] ونشطت هده الحركة خاصة في عهد منسى موسى كما ذكرنا سابقا، نظرا لاهتمامه الكبير بهده الفئة، وهدا الاهتمام يتجلى خاصة بعد رحلته إلى الحج عن طريق مصر سنة 1324م، نمت هده العلاقات نموا واسعا وشملت اتجاهات متعددة، ولعل الصلات الثقافية كانت أوسعها، فقد كان لطلاب مالي رواق عظيم في الأزهر يعرف برواق التكاررة، كما رحل كثير من علماء مصر إلى تمبكتو ليعلموا بها، وكما اهتم السلطان بالكتب الإسلامية التي كانت منتشرة في القاهرة حيث ورد ذكر عن زيارته إلى مصر اشترى من خلالها، مجموعة كبيرة من الكتب الإسلامية لوضعها في مكتبات مالي، خدمة للعلم وطلابه، ورحل التجار المصريون إلى مالي وكما حصل العكس، وكان يحمل من مالي الذهب والنحاس، وتحمل من مصر الأقمشة والحبوب،[6] كان مركب منسى موسى يضم عددا كبيرا، يصل السعدي في تقديره ستين ألفا[7] وكانت قافلة الملك تتألف من ثمانين جملا يحمل كل منها ثلاثة قناطير من التبر، بخلاف الهدايا النفيسة التي احضرها ليقدمها إلى العظماء والملوك[8] ابن بطوطة يصف مملكة مالي التي زارها سنة 1352م بعد

[1] عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص5.

[2] ابن بطوطة:المصدر السابق، ص690.

[3] شوقي عطا الله الجمل: الأزهر دوره السياسي والحضاري في أفريقيا، الهيئة النسوية للكتاب ،1988، ص123.

[4] نياتي (ج –ت)، مالي والتوسع الثاني للملندينغ، تاريخ أفريقيا العام ناليونيسكو، بيروت ،1988، مج 4، أفريقيا من القرن 12 إلى 16، ص163.

[5] عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، ج2، دار النهضة العربية، بيروت ،1971، ص 230.

[6] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص ص،256،255.

[7] السعدي: المصدر السابق، ص7.

[8] ابن خلدون: العبر، ج6، المصدر السابق، ص201.

مضي وقت قصير من موت أميرها "كونغو موسى"لقد أقام منسى موسى بفريضة الحج 1324م مع حاشية كبيرة ،فأدهش العرب بكرمه وإحسانه ،ثم جلب معه عدد من رجال المسلمين المشهورين أمثال عبد الرحمان التنبكتي ،إسحاق الساحلي ،المهندس اليبي عبد الله الكومي ألموحدي الغدامسي والفقيه الحاج التنبكتي جد القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر و آخرون.

استقر بعض التجار من العرب والبربر بعاصمة مالي، وقد أطلق على التجار المصريين الدين مارسوا نشاطهم مع السودان باسم الكارم أو تجار الكارمية، نسبة إلى مملكة كانم، وقد عرفوا بذلك الاسم مند العصر الأيوبي، كما كان هؤلاء التجار يشتغلون جلب الرقيق الأسود إلى مصر [1]وقد دهب تجار مصريون إلى بلاد مالي، ومن أكثر هؤلاء التجار ترددا ومعرفة تلك البلاد سراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية وتولي رئاسة الكارمية لما بلغه من الثروة والنفوذ.[2]

كان للسلطان منسى موسى قصة مع التاجر المصري سراج الدين تتلخص في أن سلطان مالي أثناء تواجده في مصر نزل بروض لسراج الدين فاحتاج إلى المال فتسلفه من سراج الدين، وتمكن منه أمراؤه أيضا، فلما عاد السلطان إلى بلاده أرسل معه سراج الدين وكيله يقضي المال، ويظهر أن أنفاق السلطان وأمرائه قد أفرغ خزانة دولته، فظل يماطل الوكيل، مما دعا سراج الدين الذهاب بنفسه لهدا القرض،

وصحب معه ابنه في تلك الرحلة، ولكن المنية لم تمهله فمات في تمبكتو، وشاهد ابن بطوطة قبره هناك، واصل الابن رحلته حتى اقتضى ماله وعاد إلى مصر.

وأورد ابن بطوطة مجموعة من التجار الدين وفدوا إلى مملكة مالي حيث ذكر: كان دخولي إليها في الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين، وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرم سنة أربع وخمسين ورافقني تاجر يعرف بأبي بكر بن يعقوب[3]

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص368.

[2] حامد عمار: علاقات مصر بالدول الأفريقية في العصور الوسطى، ط1، مكتبة الدراسات العربية، القاهرة ،1996، ص96.

[3] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص694.

ويذكر أيضا أنه أثناء تواجده في مالي حضر لصلاة جمعة، فقام أحد التجار من طلبة مسوفة ويسمى بأبي حفص، فقال: "يا أهل المسجد أشهدكم أن منسى سليمان في دعوتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "، فلما قال ذلك فخرج إلى الجماعة رجال من مقصورة السلطان فقالوا له: من ظلمك؟ من أخذ لك شيئا؟ فقال: منش اجو أيولاتن(مشرفها)، أخذ مني ما قيمته ستمائة مثقال، وأراد أن يعطيني في المقابل مائة مثقال خاصة، فبعث السلطان إليه الحسين، فحضر بعد أيام وصرفها للقاضي فثبت للتاجر حقه، وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله.[1]

ومما سبق ذكره يتبين العدد الكبير من التجار الدين استقر بهم المقام بمالي سواء العرب أو البربر الدور الكبير الذي لعبوه في ازدهار اقتصاد بلاد السودان ونشر الدعوة الإسلامية.

3)أسباب سقوط مملكة مالي:

إن بداية انحطاط إمبراطورية مالي كانت مع وفاة منسى سليمان، حيث أخذ أمر مالي في الضعف والتدهور بسبب ضعف أمرائها، وظلم حكامها، وفساد التدبير وهجمات أعدائها عليها[2] حيث خلفه ابنه "قنيتا بن سليمان "ويلقب أيضا ب كأسا سليمان، والدي حكم فترة قصيرة قدرت بتسعة أشهر فقط. ثم ولى بعده ماري جاطة والدي حكم مدة أربعة عشر عاما

وكان ماري جاطة هدا شر الناس حسب ابن خلدون ،حيث أساء السيرة وأفسد ملك مالي و أتلف ذخائر البلاد ،بكثرة إسرافه وتبذيره إلى درجة أنه قام ببيع حجر من الذهب تزن عشرين قنطارا إلى بحار مصر بأبخس الأثمان ، رغم أن تلك الحجرة كانت تعد أنفس ذخائر بلاد السودان نظرا لندرة وجود مثلها كما اشتهر بالكسل وعدم اكتراثه لشؤون البلاد، وأبقى على الملك موسى الثاني ولمزحه عن العرش إلى أن توفي عام 789هـ /1387 م. وبعد وفاة موسى الثاني قامت نزاعات واحتيالات من أجل الإستحواد على السلطة بين الأشقاء والأقارب أدت إلى انهيار المملكة، حيث انتقل الحكم إلى أخيه "متسا ماغا والدي قتل بعد سنة واحدة من توليه الحكم. ثم استولى على الحكم زوج أمه والمسمى "صندكي "ومعناه الوزير ثم قتل

[1] المصدر نفسه: ص ص:691،688.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ص165.

بعد أشهر من طرف رجل من بيت ماري جاطة، وخلفه رجل اسمه "محمد "، ويدعي انتسابه إلى منسى قوين منسى ولي بن ماري جاطة وذلك عام 793 هـ/ 1390 م. وفي ظل هدا التدهور والانحطاط والصراعات الداخلية، ظهرت قوة كوكو (جاو) التي أخذت تضم ولايات مالية الواحدة تلوى الأخرى إلى أراضيها حتى استولت على جنى وهي إحدى المراكز التجارية الهامة لمالي.[1] فمند أواسط القرن الثامن للهجرة الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي فاستولى الطوارق الملثمون على تمبكتو سنة 1435 م، وكذلك توغلوا منطقتي "أروان، وولاته، وخروج بعض المناجم الهامة والتي تمثل ثقلا اقتصاديا مهما في البلاد، من أيدي الحكومة، مثل منجم النحاس في تكدا، الأمر الذي جعل البلاد في حالة اقتصادية متدهورة والتنازع على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة قرب زمن زوال مالي، وهدا الصراع كلف خزينة الدولة كثير من الأموال التي كان يجب أن تنفق في شؤون أخرى[2] وكذلك تخلص شعب السوننجي (قبائل من السودان الغربي)من سيطرة مالي بعد أن خضعوا لها زمنا طويلا، وكذلك قبائل الموسى الوثنية من الجنوب، فبدأت تشن هجماتها، حتى قطعت نهر النيجر[3].

ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى إسقاطها انغماس حكامها في الترف والشهوات، الأمر الذي شغلهم عن الاهتمام بشؤون المملكة، إد انتقلت إلى كبار القوم من قضاة وفقهاء، حيث استقل عدد من الأقاليم عنها، وبذلك تقلصت حدودها، وتوالت عليها عوامل الضعف حتى سقطت[4] وهجوم قبائل الولوف ،والتكور من الجنوب الغربي، وتسديد الضربات المؤلمة لها ،وكذلك اهتمام حكام مالي في القرن الثامن الهجري، الخامس عشر الميلادي بالمناطق الغربية على المحيط الأطلسي ،فهدا العامل له مغزاه البعيد ،على أنهم يريدون من وراء ذلك تقوية علاقاتهم مع البرتغال ،التي بدأت له موطن قدم في المنطقة، على هيئة مراكز لتجارة العبيد على شواطئ أفريقيا الغربية.

[1] المصدر نفسه: ص265.

[2] يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص35.

[3] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص84.

[4] الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص85.

خلاصة الفصل:

كل هده الأمور مجتمعة أثرت بشكل أو بآخر على مملكة مالي الإسلامية وعجلت بسقوطها، وقيام قوة جديدة، أخذت مكانها في منطقة السودان الغربي وبذلك انتقلت السلطة إلى قبائل السوننكي الدين يقيمون بمنطقة النيجر الوسطى متخذين من مدينة غاو عاصمة لهم. ولقد كانوا يملكون إلى جانب قوتهم العسكرية أسطولا بحريا صغيرا، ولكن مملكتهم لم تمتد بعيدا إلى الغرب عكس مملكة مالي.

ومها يكن من أمر فإن إمبراطورية مالي ما هي إلا نموذجا للدول التي ظهرت في السودان الغربي خلال الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والتاسع للهجرة، وهي الفترة التي تم فيها امتداد الحضارة العربية الإسلامية، فشملت هذا الجزء من العالم حيث تجسدت فيها مظاهر الحضارة الإسلامية السودانية، التي بدأت ملامحها الأولى تظهر عن طريق إمبراطورية غانا، ونضجت على أيدي ملوك مالي، واحتدي بهم ملوك الدول المجاورة ككانم وبرنو وصنغاي.

الفصل الثاني:

الأسرة والمجتمع في ظل النظام الوثني.

الفصل الثاني: الأسرة والمجتمع في ظل النظام الوثني.

أولا: الأسرة في المجتمعات الوثنية.

1-أسس العلاقات الزوجية.

2-أدوار المرأة والرجل.

ثانيا: المجتمع الوثني في السودان الغربي.

1-طبقات المجتمع.

2-النظم المجتمعية.

3-القبيلة ونظامها.

ثالثا: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الوثني.

1-التنظيم الاجتماعي

2-التنظيم الاقتصادي

3-التنظيم السياسي

تعتبر دراسة الأسرة والمجتمع في السودان الغربي خلال الفترة ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين من المواضع الجوهرية في فهم التطور الحضاري والثقافي لهده المنطقة المهمة من القارة الإفريقية، فالأسرة تمثل النواة الأساسية للمجتمع والوحدة الاجتماعية الأولى التي تشكل القيم والتقاليد وتنقلها عبر الأجيال، بينما يشكل المجتمع الإطار الأوسع الذي تتفاعل فيه هده الأسرة وتتبادل التأثير والتأثر.

خلال هده الحقبة التاريخية، كانت المنطقة تشهد تحولات جذرية تمثلت في التحول من النظم الوثنية التقليدية نحو الإسلام مما أثرة بشكل عميق على البنية الاجتماعية والأسرية، لذا ركزنا في دراستنا على تحليل وفهم خصائص الأسرة والمجتمع في ظل النظام الوثني قبل انتشار الإسلام من أجل إبراز طبيعة التحولات التي طرأت لاحقا.

وقد قسمنا هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين:

أولا/ الأسرة في المجتمعات الوثنية:

تعرف الأسرة في المجتمعات الوثنية بالسودان الغربي بأنها الوحدة الأساسية التي تتكون من مجموعة من الأفراد تربطهم صلة القرابة والدم وتخضع لنظام اجتماعي معقد بحكم العلاقات والواجبات لكن أفرادها لكل أفرادها وقد تشكلت الأسرة في هذه المجتمعات وقد شكلت الأسرة في هذه المجتمعات النواة الأولى للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي حيث كانت تتسم بالطابع الأبوي الصارم والتماسك القوي بين أجيالها المختلفة وتدير الدراسات الحديثة إلى أن الأسرة الإفريقية التقليدية كانت تمثل وحدة اقتصادية واجتماعية متكاملة تجمع بين عدة أجيال في إطار واحد يحكمه نظام من القيم والتقاليد المتوارثة [1]

[1] Vanscna Jan , puthsin the rainforest toward a history of political tradition in equatorial Africa , university of Wisconsin pves Madison 1990,p 87

لقد اتسمت الأسرة في هذه المجتمعات بخصائص مميزة تعكس طبيعة البيئة الاجتماعية والثقافية السائدة فكانت الأسرة الممتدة هي النمط السائد حيث تضم الجدين والوالدين والأطفال والأعمام والعمات وأطفالهم في مجموعة سكانية واحدة أو متقاربة وكان لرب الأسرة الأكبر سنة سلطة مطلقة في اتخاذ القرارات بينما توزع المسؤوليات الأخرى بين أفراد الأسرة من حيث العمر والجنس والمكانة الاجتماعية كما لعبت الأسرة دورا محوريا في التنشئة الاجتماعية ونقل المعارف والمهارات من جيل إلى آخر وجعلها مؤسسة أساسية للحفاظ على التراث الثقافي والديني للمجتمع[1]

1 – أسس العلاقات الزوجية الوثنية:

قامت العلاقات الزوجية في المجتمع الوثني في السودان الغربي على أسس تقليدية نابعة من الأعراف القديمة والمعتقدات المحلية والدينية فالزواج لم يكن مجرد ارتباط فردي بل هو مؤسسة اجتماعية ذات طابع جماعي تهدف للحفاظ على النسب وتقوية التحالفات بين العشائر لذلك كانت ترتيبات الزواج تدار غالبا من قبل الأسرة وكان الكبار القبائل وكبار السن يضمنون أن الزواج يحقق مصلحة القبيلة [2]

كان الزواج يتم وفق طقوس تقليدية محددة تبدأ بطلب العروس من أسرتها ودفع المهر يقدمه في شكل مواشي أو سلع زراعية أو أدوات حرفية وهو ما يعكس البنية الاقتصادية والزراعية والرعوية للمجتمع وهذه المراسيم كان يوافقها طقوس دينية تستدعى فيها الأرواح

[1] Murdock gorge peter , Africa :its peoples and ther culture history MCG raw-hill BOOK company , Now youk , 1959 , p 156

[2] ديفيدسون بازل، إفريقيا قبل الاستعمار الأوروبي، ترجمة كمال دسوفي دار العزابي ، ببيروت 1981ص 100. 102

والأسلاف لتمنح البركة للزواج وهو ما يدل على أن الرابطة الزوجية كانت تحظى بقداسة مرتبطة بالديانات الوثنية السائدة [1] ولقد ساد نمط نمطين من الزواج في العلاقة الزوجية منها:

الزواج الأحادي : لم يكن النمط السائد في المجتمعات الوثنية إلا أنه كان موجود وله ظروفه وخصائصه وقد ارتبط هذا النوع بعوامل اقتصادية واجتماعية محددة حيث كان الرجال ذوي الإمكانيات المحدودة يميلون إلى الاكتفاء بزوجة واحدة نظرا لعدم قدرتهم على تحمل أعباء تعدد الزوجات وتشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن بعض فئات المجتمع خاصة الخلافيين والفلاحين كانوا يمارسون الزواج الأحادي كنتيجة حتمية لظروفهم الاقتصادية المتواضعة حيث كان يتميز بخصائص مهمة عن أنماط الزواج الأخرى حيث كانت الروابط العاطفية بين الزوجين عميقة كما كانت المرأة في هذا النوع تتمتع بمكانة أعلى ونفوذ أكبر في إدارة شؤون الأسرة حيث لا توجد منافسة من ضرائر أخريات وقد أتاح لهذا النمط من الزواج فرصة أكبر للمشاركة في اتخاذ القرارات متعلقة بتربية الأطفال وإدارة الموارد المنزلية مما عزز دورها الاجتماعي داخل الأسرة [2]

تعدد الزوجات : يعتبر تعدد الزوجات النمط الأكثر شيوعا وانتشارا في المجتمعات الوثنية في السودان الغربي فقد كان يعدد الزوجات أمرا مقبولا فقد كان تعدد الزوجات أمرا مقبولا خاصة لدى زعماء القبائل والأثرياء وكان بعد وكان يعد رمزا للمكانة والقدرة على الإعانة حيث لا يستطيع إلا النبلاء والأثرياء تحمل أعباء الزواج من عدة نساء ودفع المهور المطلوبة والإنفاق عليهن وعلى أطفالهن، لكن التعدد كان مقيدا بعوامل اقتصادية وأخلاقية حيث يشرط على الرجل

[1] نيان دلودوني تاريخ إفريقيا العام ، اليونيسكو، الجزء الثاني، ترجمة علي إبراهيم المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم 1990: ص 178، 180
[2] Murdock geoge peter مرجع سابق p 156

العدل في المعاملة وتوفير متطلبات الزوجات وإلا عدى ذلك إخلالا بالتوازن الاجتماعي كما أن الطلاق كان ممكنا في حالات محددة مثل العقم والخيانة ويفصل فيه عادة بمجلس عرفي[1]

كانت العلاقات الزوجية في المجتمع الوثني بشكل عام تقوم على التعاون والتكامل أكثر من الصراع والتصمت وينظر إلى الزواج بوصفه مؤسسة جماعية مقدسة بوصفه مؤسسة جماعية مقدسة تكرس قيم الانتماء والتكافل وتسهم في بقاء المجتمع واستقراره وهو ما يجعلها حجرا أساسا في فهم البناء الاجتماعي للسودان الغربي [2]

2 – أدوار المرأة والرجل:

تتميز أدوار كل من المرأة والرجل في المجتمعات الوثنية في السودان الغربي خلال القرن الخامس والثامن الهجري بالتحديد الواضع والتوازن والتوزيع المنتظم بالتحديد الواضح والتوزيع المنتظم للمؤسسات ويعتمد على المعتقدات الدينية والأعراف ويخدم بنية القبيلة واستقرارها.

كان الرجل ينظر إليه باعتباره المسؤول الأول عن حماية الجماعة وكان يتولى دور رب الأسرة في توفير احتياجاتهم الأساسية وكان يمثل القبيلة سياسيا فيما أسندت للمرأة أدوار محورية في الحياة الدينية والاجتماعية إلى جانب مهامها الاقتصادية داخل الأسرة والمجتمع [3]

وقد انقسمت الأدوار بينهما:

دور الرجال في المجتمعات الوثنية: كان الرجال يتولون مهام الزراعة والرعي والصيد والمشاركة في والمشاركة في أنشطة التجارة والحرف المختلفة وكان يشارك في الحروب والمعارك والغارات القبلية خاصة في المناطق الحدودية المعروفة المعرضة للتنافس القبلي وقد

[1] الطيب محمد سعيد العائلة والدين في مجتمعات غرب أفريقيا الوثنية جامعة أم درمان 2008 ص 61، 63
[2] طلحة جبريل، مظاهر الحياة في السودان الغربي قبل الاسلام، دار الفكر 2002 ص 85، 87
[3] نيان ديودوفي، مرجع سابق ص 184، 185.

لعب الرجل دورا أساسيا في التمثيل السياسي للقبيلة سواء من خلال مجلس الشيوخ أو عبر الزعامات الوثنية أو ارتبطت مكانة الرجل بقدرته على تأمين الموارد وقيادة الجماعة أو المشاركة في التحالفات مع القبائل الأخرى [1]

إلى جانب المسئوليات الاقتصادية والأمنية كان للرجل دور مهم في الحياة الاجتماعية والدينية للأسرة كما يشارك في اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون القبيلة والمجتمع يتولى أداء مسئولية الطقوس الدينية الأسرية وتقديم القرابين للآلهة والأرواح ونقل المعتقدات والتقاليد الدينية لأطفالها وكان الآباء مسئولون على تعليم أولادهم الذكور المهارات المهنية والحرفية اللازمة لحياتهم المستقبلية [2]

دور المرأة: أما المرأة فقد كان لديها مكانة معتبرة داخل المجتمع رغم الطابع الأبوي الغالب فقد كانت مسئولة عن شؤون البيت وتربية الأطفال وتشارك في بعض الأنشطة الاقتصادية مثل الزراعة الخفيفة مثل الزراعة الخفيفة وجمع الثمار وصناعة الأدوات المنزلية وكان بعض النساء يعرفنا بدورهن بدورهن كان هناك بدورهن ككاهنات أو وسيطات روحانيات حيث يقومن بطقوس الشفاء أو التنبؤ بالمستقبل وهو ما منحهن سلطة رمزية داخل الجماعات وفي بعض القبائل كانت للمرأة سلطة قرار داخل نطاق الأسرة أو حتى في اختيار الزعماء [3]

لم يكن التمايز بين الرجل والمرأة قائما على القمع بقدر ما كان انعكاسا لمنظور ديني واجتماعي يرى في التخصص ضرورة لخفض توازن الجماعات وكانت الطقوس الدينية تظهر هذا التوازن حيث يشارك الجنسان في الاحتفالات الموسمية ويخصص لكل منهما أدوار رمزية تعكس طبيعة الاجتماعية والروحية وفي بعض المناطق عرفت المرأة بأنها حارسة الخصوبة

[1] ديفدسون بازل، مرجع سابق ص 96، 98
[2] Fortes meyer , the web if kinship among thtallent , Oxford Universty press,London ,1949, p 134
[3] طيب محمد سعيد،المرأة والدين في غرب إفريقيا التقليدية، جامعة أم درمان 2004 ص 35 38

وشاركت في طقوس الزرع والحصاد ما يعكس للاعتراف بدورها الحيوي في بقاء المجتمع واستمراريته [1]

ومع أن السلطة العليا ظلت غالبا في يدي الرجل فإن كثيرا من الباحثين يشيرون إلى أن المرأة في المجتمع الوثني في السودان الغربي تمتعت بها مشاركة الحرب والمشاركة في مما عرفته لاحقا في بعض المراحل الإسلامية المبكرة خاصة في ضل استمرار نفوذ الأعراف القبلية التي كرست دورها في الحياة اليومية [2].

ثانيا المجتمع الوثني في السودان الغربي:

1- طبقات المجتمع:

لقد تميز المجتمع السوداني الغربي خلال القرنين الخامس والثامن هجري ببنية طبقية واضحة كانت تبنى على أساس النسب والمكانة داخل القبيلة والمهنة والدور الروحي أو السياسي وقد تشكل هذا النظام الطبقي تدريجيا نتيجة للتفاعل بين العوامل الاقتصادية والدينية والاجتماعية بما يعكس تعقيد البنية القبلية وتماسكها في آن واحد [3]

حيث كان المجتمع يتكون من طبقات متدرجة تبدأ من الملوك والأمراء في القمة تليها طبقة التجار والعلماء والأحرار ثم الحرفين والمزارعين وفي القاع طبقة العبيد [4] بالإضافة إلى طبقة الكهنة.

طبقة الملوك (النبلاء): توجد في قمة الهرم الاجتماعي وهي تضم رؤساء القبائل وأسرهم وكبار القادة العسكريين وبعض الشخصيات الدينية ذات التأثير الروحي وتملك هذه الطبقة القوى

[1] فانسين جان، تاريخ إفريقيا قبل الاستعمار، ترجمة فهد محيي الدين المركز القومي للترجمة القاهرة 2004 ص 116، 118
[2] طلحة جبريل، التحولات الاجتماعية في السودان الغربي قبل الاسلام وبعده دار الفكر 2002 ص 72، 74
[3] نيان ديودوني، مرجع سابق ص .153_151
[4] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الطبعة الثالثة دار الثقافة بيروت 1980 ص.245

والثراء ولها الكلمة العليا في اتخاذ القرارات كما كانت تحتكر الزواج من داخل دائرتها للحفاظ على نقاء النسب وامتيازاتها التقليدية [1]

كما كانوا في البداية يحتفظون بالمعتقدات الوثنية التقليدية لكنهم تحولوا تدريجيا إلى الإسلام لأغراض سياسية واقتصادية واعتنقوا الإسلام ظاهريا في البداية لكنهم احتفظوا بكثير من التقليد الوثنية في ممارساتهم اليومية وطقوس الحكم [2]

طبقة الأحرار: تمثل الغالبية من السكان الذين يمارسون الزراعة والرعي والصيد والحرف اليدوية على الرغم من أنهم لا يملكون نفوذا سياسيا كبيرا إلا أنهم يشكلون العمود الفقري للاقتصاد وقد تمتع هؤلاء الأحرار ببعض الحقوق داخل القبيلة حضور المجالس والمشاركة في التقوس والمساهمة في الدفاع عن الجماعة [3]

طبقة التجار: شكلت عنصرا محوريا في نقل الإسلام حيث كانوا البسطاء بين العالم الإسلامي والمجتمعات المحلية هؤلاء التجار ومعظمهم من أصول عربية وبربرية استقروا في المدن التجارية الكبرى مثل تمبكتو وحتى وجنا وأسسوا مجتمعات مسلمة في قلب البلاد في قلب البلاد الوثنية، كانت الطبقة تتمتع بنفوذ اقتصادي كبير، وكانت من أهم عوامل انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في المنطقة [4]

طبقة العلماء والفقهاء: شكلوا طبقة مميزة خاصة مع تزايد انتشار الإسلام هؤلاء كانوا يقومون بدور المشاركين للحكام وكانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة وكانوا الجسر الثقافي بين التقاليد الإسلامية والممارسات المحلية [5]

[1] فانسين جان، مرجع سابق، ص 105،107.
[2] محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ص.87
[3] ديفيدسون بازل، مرجع سابق ص 86،88.
[4] عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق ص .267
[5] أحمد شكري، الإسلام والمجتمع السوداني، الطبعة الأولى، دار الرشاد، الرباط 1985، ص.156

طبقة الحرفيين والعبيد: تعرف بالطبقة السفلة على الرغم من مهاراتهم الضرورية للمجتمع كانوا غالبا في مرتبة أدنى من المزارعين بسبب ارتباطهم بأنشطة لا تولد نفوذا سياسيا أما العبيد فكانوا يشكلون طبقة منفصلة كليا حيث تم الحصول عليهم عن طريق الحروب كغنائم واستخدموا في الأعمال الشاقة وخضعوا لسلطة أسيادهم دون امتلاك حقوق كاملة [1]

طبقة الكهنة: أو الوسيطات الروحانيات والذين كانت لديهم مكانة خاصة بغض النظر عن انتمائهم الطبقي بحيث كانوا يوصفون بأنهم حراسا للاتصال بين العالمين المادي والروحي وكانوا يعاملون باحترام كبير من قبل الزعماء لما يملكونه من شرعية مقدسة داخل المجتمع الوثني [2]

بالرغم من هذه الطبقية فإن المجتمع كان يحتفظ بقدر من المرونة إذ كانت هناك حالات نادرة استطاع فيها الأفراد من الطبقات الدنيا بفرض المهارات أو الخدمة في الحروب أو قربهم من الكهنة ومع ذلك ظلت الحواجز الطبقية قائمة وتحكمها أعراف صارمة تحمي مصالح الطبق العليا وتعيد إنتاج النظام الاجتماعي نفسه عبر الأجيال [3]

2-تنظيمات المجتمع:

لقد عرف المجتمع في السودان الغربي خلال الحقبة الوثنية تنظيمات معقدة نسبيا اتسمت بالتدرج والترتيب وتداخلت فيها عوامل النسب والدين والوظيفة الاقتصادية وكانت هذه التنظيمات نابعة من تقاليد عرقية ترسخت عبر الأجيال وكانت تهدف إلى حفظ التماسك القبلي وضبط العلاقات الداخلية بين الأفراد والجماعات [4]

[1] الطيب محمد سعيد، مرجع سابق ص 58،60.
[2] محمد الماجد، الدين والمجتمع في إفريقيا قبل الإسلام، مركز الدراسات الإفريقية 2001، ص92،93.
[3] طلحة جبريل، مرجع سابق ص 73
[4] نيان ديودونب، مرجع سابق ص 154،156.

ونقترح عليكم من خلال دراستنا بعض هذه التنظيمات ونذكر منها

1. التنظيم العشائري أو القبلي: والذي كان يعد الوحدة الأساسية في البناء الاجتماعي، كانت كل قبيلة تتكون من عدة عشائر وبطون تحكمها روابط الدم ويتزعمها شيخ أو زعيم يكون عادة من الأسرة الكبرى ذات التاريخ القيادي وكان لهذا التنظيم دور مركزي في توزيع الأراضي وتنظيم الإنتاج وحل النزاعات وتوزيع الأفراد داخل القبيلة [1]
2. التنظيم الديني يتمثل في شبكة من الكهنة والكاهنات، الذين كانوا لهم تأثير كبير في الحياة العامة، وكانوا بمثابة وسطاء بين العالمين الروحي والمادي، وتنسب إليهم قدرات خاصة في الحماية والشفاء والتنبؤ بالمستقبل. وقد خضع المجتمع بكل طبقاته إلى هذا التنظيم الديني، ما أعطى طابعا روحانيا على القوانين والأعراف الاجتماعية [2]
3. تنظيم مهني ضمني حيث كان لكل فئة من فئات الحرفيين أو المزارعين أو الرعاة موقع محدد داخل المجتمع، وقد ساهم هذا التنظيم في الحفاظ على التوازن الاقتصادي والاجتماعي، إذ عد التخصص المهني جزء من هوية الفرض وامتدادا لوضعه الاجتماعي [3]
4. تنظيمات عمرية أو طقسية تمثل جماعات المراهقين الذين يمرون بطقوس غبور نحو الرجولة وتكلفهم القبيلة بمهام محددة، هذه التنظيمات كانت تعزز الانضباط والولاء الجماعي وتعد جزء من التربية غير الرسمية في المجتمعات الوثنية [4]

3-القبيلة الوثنية ونظامها:

لقد شكلت القبيلة الوحدة الأساسية في بناء المجتمع في السودان الغربي، حيث كانت تعد النواة التي كانت تتفرع عنها بقية التنظيمات الاجتماعية والسياسية وكان الانتماء القبلي يمثل الهوية الأولى للفرد متقدما على أي انتماء آخر، وتشوبنا هذه الروابط على أسس النسب والدم، مما جعل رابطة القرابة حجر الزاوية في العلاقات الاجتماعية وقد ساهم هذا البناء في ترسيخ

[1] فانيساجان، مرجع سابق، ص 108، 110.
[2] محمد عبد الماجد، مرجع سابق ص 94،96.
[3] ديفيدسون ، بازل، مرجع سابق ص 91،92.
[4] الطيب محمد سعيد، مرجع سابق ص 62،64.

شعور التضامن والتكافل داخل القبيلة حيث يتقاسم أفرادها المهام والمسؤوليات ويحكمهم نظام عرفي يحتكم إليه في كل شؤون الحياة [1]

وكان ينظر للقبيلة كمجتمع مغلق ومنظم للحياة اليومية يحدد الانتماء والهوية ويضبط العلاقات الاجتماعية مثل الزواج التوارث والتعاون الاقتصادي وتوزيع الأراضي، وكان الانتماء إليها يحدد مكانة الفرد في المجتمع ويمنحه الحماية [2]

وقد تميزت كل قبيلة باسم مميز وتقاليد خاصة وقيادة عليا غالبا ما تتمثل في زعيم أو ملك قبلي [3]

وكان يعرف بألقاب مثل الشيخ أو الكابو يختاروا عادة من بين كبراء العشائر والأسر النبيلة وكانت سلطة الزعيم تنبع من صفاته الشخصية، ومن مكانة أسرته، ومن دوره في حماية مصالح القبيلة، وتنظيم شؤونها في أوقات الأزمات أو النزاعات وكان الزعيم يحاط به مجلس ال من كبار السن المستشارين يتداول معهم القضايا الكبرى مما يظهر طبعا تشاوريا في الحكم داخل النسق القبلي، وإن كان القرار النهائي في كثير من الأحيان بيده[4]

النظام القبلي : برز النظام القبلي في السودان الغربي بفعل عوامل بيئية واقتصادية واجتماعية حيث أدى الترحال والرعي والتجارة إلى تشكيل وحدات ترابية مترابطة، حيث كان يتضمن تقسيما وظيفيا مرنا حيث توكلوا كل مهام الزراعة والرعي والتجارة والصيد إلى أفراد مختلفين بحسب السن والجنس والمهارة والمكانة وغالبا ما كانت بعض المهن محصورة على عائلات أو طبقات معينة ما يدل على وجود نظام اجتماعي شبه طبقي داخل بنية القبيلة ، وكان هناك تقاليد دقيقة

[1] دفيدسون ، مرجع سابق ص 81،83.
[2] الهريسي عبد الله، تاريخ السودان الغربي من الوثنية إلى الاسلام، ص 112.
[3] لوف دفيد ، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء قبل الاستعمار ـ لندن: مطبعة كمبردج، 1974ص112.
[4] نيان ، دبودوني ، مرجع سابق ص 165،167.

في نظم الزواج والوراثة والعلاقات بين العشائر المختلفة داخل القبيلة ضمان استقرار والتماسك الداخلي [1]

القبيلة والنظام الديني الوثني:

في ظل الوثنية، لعبة القبيلة دورا محوريا في الحفاظ على الطقوس والشعائر الدينية حيث امتلكت كل قبيلة آلهتها الخاصة وأمكنة مقدسة وك هن مختصين، وقد شكل الدين الوثني أحد أهم عناصر الوحدة الداخلية داخل القبيلة وعامل ش ماسك اجتماعي وروحي

كما لعب الدين الوثني دورا كبيرا في تعزيز كانت القبيلة، إذا كانت لكل قبيلة أرواح حارسة، أو آلهة محلية تقدسها، وتقيم لها الطقوس والاحتفالات، وكان الزعيم القبلي أحيانا ينظر إليه بوصف ذا صفة روحية أو وسطيا بين العالم المخفي والعالم المرئي، كما كانت الطقوس الجماعية مثل تقديم القرابين أو احتفالات الحصاد تستخدم بتعزيز الوحدة القبلية وتجديد الولاء للزعيم وترسيخ قيم الولاء والطاعة [2]

القبيلة والنظام السياسي المحلي:

شكلت القبيلة في السودان الغربي قبل انتشار الإسلام الإطار الأساسي للنظام السياسي الوطني، حيث كانت السلطة السياسية تمارس من خلال الزعامة القبلية التي أخذت شرعيتها من الأساطير الدينية والمعتقدات التقليدية، فقد كان ينظر إلى زعيم القبيلة أو ما يعرف بالملك أو الكاهن بوصفه الوسيط بين الآلهة وأفراد القبيلة مما منح النظام السياسي بعدا دينيا وثنيا

[1] فانسينا جان، مرجع سابق ص 121،123 .

[2] Triminghamj , s,pencer , A History of Islam in west Africa Ox ford 1970 ,P10-12

واضحا، وهذا ما يفتح في مملكة غانا الوثنية، حيث كان الملك يعد مقدسا ويحظر على عامة الناس رؤيته مباشرة، وكان له طقوس خاصة تؤكد صفة القداسة الملازمة لمنصبه [1]

وقد ساعدت البنية القبلية على الحفاظ على هذا النظام إذا ارتبطت بالمكانة الدينية داخل المجتمع وكان رؤساء العشائر والمجالس المحلية يشاركون في إدارة شؤون الحكم ضمن تقاليد مقدسة يتوارثها لأجيال، وهذا ما يدل على أن التنظيم السياسي لم يكن مجرد إدارة دنيوية، بل كان مشبعا بالرموز والشعائر التي تؤكد الارتباط بين الدين الوثني والسلطة السياسية، ففي كثير من الحالات كانت المعتقدات المحلية تنظم العلاقات بين الحاكم والمحكوم وتفرض الطاعة باعتبارها واجبا دينيا إلى جانب كونها واجبا قبليا [2]

وانعكس هذا النظام في بنية الدولة الوثنية من خلال جاء عدد مراكز السلطة ووجود أشكال الحكم اللامركزي حيث تتمتع كل قبيلة بنوع من الاستغلال الذاتي ضمن الدولة الكبرى وكان الملك الأعلى مثل الملك غانا يشرفوا على شبكة من الزعامات القبلية المحلية التي تؤدي له الطاعة وتقدم له الضرائب والجزية، ما يشير إلى طبيعة اتحادية للنظام السياسي تقوم على الروابط القبلية الوثنية دون مؤسسة مركزية دينية موحدة [3]

ومع تطور بعد القبائل الكبرى خاصة في المناطق القريبة من المراكز التجارية والمسارات الصحراوية بدأت بعض التنظيمات القبلية جاك جاك يبو ملامح شبه دولية من خلال بروز سلطة مركزية أقوى، وتوسيع نطاق السيطرة على قبائل أخرى مما شكل الأساس الأول لظهور

[1] ليفرين، الاسلام في غرب افريقيا، ترجمة: احمد محمد حليفة، بيروت، دار الآفاق الجديدة 1981ص 35.
[2] قوادي عمر، البني التقليدية للمجتمع في السودان الغربي قبل الاسلام، نواكشط: معهد الدراسات الافريقية 1994ص .76
[3] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، لجنة البيان العربي 2004ص 213.

المماليك الوثنية الكبرى لاحقا مثل غانا ومع ذلك استمر النظام القبلي كإطار اجتماعي وسياسي حتى بعد دخول الإسلام مما يدل على قوته وتأثيره العميق في بنية المجتمع.[1]

ثالثا: التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع الوثني:

ان دراسة الجوانب التنظيمية المختلفة للمجتمع الوثني في السودان الغربي خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري وهي مرحلة شهدت تطور كبير في البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية نتيجة عوامل داخلية وخارجي، حيث نبرز كيف سهرت هذه التنظيمات في استقرار المجتمعات وبروز كيانات سياسية قوية في المنطقة [2]

ومن خلال ذلك سوف نتطرق إلى تحليل مفصل لكل تنظيم.

1. التنظيم الاجتماعي:

يعد التنظيم الاجتماعي أحد الأسس التي قامت عليها بنية المجتمع في السودان الغربي خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس هجري إلى الثامن هجري وهي فترة تميزت بتطور كيانات سياسية كبرى متى المملكة تي مالي و غانا ، وتظهر المصادر التاريخية على المجتمعات المحلية كانت منظمة وفق مبادئ قبلية وعرفية صارمة شكلت اللبنة الأولى لنشوء مجتمعات مستقرة ذات بنية داخلية معقدة حيث تميز هذا التنظيم بطابع تقليدي هرمي يرتكز على الانتماء العشائري والقبلي ويعتمد على الروابط القرابية كأساس لبناء المجتمع ، وقد كانت الأسرة هي الخلية الأساسية في هذا البناء ، شاليه العشيرة ثم القبيلة ، حيث نظمت هذه الوحدات العلاقة بين الأفراد ووزعت الأدوار والمسؤوليات بينهم وفقا للمعايير عرفية مستقرة

[1] طلحة جبريل، مظاهر التحول السياسي في غرب افريقيا، قبل الاسلام وبعده دار الفكر 2002ص 58،60.
[2] نياني. د جبريل تمسير، تاريخ إفريقيا العام، ج 4، اليونيسكو 1984، ص .120 الطيب محمد سعيد، الأنظمة الاجتماعية والدينية في غرب افريقيا الوثنية، جامعة ام درمان 2004، ص 49،.52

وتمتع الرجل بمكانة مركزية في هذا التنظيم إذا كان الأب هو صاحب السلطة داخل الأسرة ويليه كبار السن في توجيه الشؤون اليومية واتخاذ القرارات ذات الطابع المصيري [1]

من جهة أخرى كان التمايز الطبقي واضحا في هذا المجتمع إذ وجدت فئات عليا تتمثل في الزعماء وال كهناء وأفراد الأسرة النبيلة وفئات وسطى من الحرفيين والتجار بالإضافة إلى الفئات الدنيا من العبيد والخدم والذين كانت مكانتهم تحدد بحسب النسب أو العمل أو وضعهم الحربي، ويلاحظ أن بعض المهن كانت على فئات بعينها تتوارثها عبر أجيال، مثل الحدادين والصيادين، وهو ما يؤكد على طبيعة المجتمع المغلق الذي يصعب فيه التنقل بين الطبقات [2]

كما أدى الدين الوثني دورا كبيرا في تعزيز البنية الاجتماعية، حيث كان الكاهن يشكلون طبقة ذات نفوذ واسعة، نظرا لدورهم في الوساطة بين البشر والقوى الغيبية وارتبطت المناسبات الاجتماعية الكبرى بالطقوس الدينية مثل الزواج والحصاد ومراسيم تنصيب الزعماء ما جعل الدين عنصرا بنيويا في تشكيل الهوية وتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات [3]

وكانت طقوس التضامن، كالقرابين والاحتفالات الجماعية تهدف لترسيخ التماسك الداخلي للمجتمع [4]

وتجدر الإشارة إلى أن النساء رغم خضوعهن لسلطة ذكورية قد لعبن أدوار المهمة في بعض المجالات مثل الزراعة والتجارة المحلية وفي الطقوس الدينية الخاصة بالخصوبة والولادة كما أن بعض القبائل الوثنية قدر الدورة للمرأة في نقل النسب، خاصة في المجتمعات الأمومية التي كان ينسب فيها الأبناء للأم [5]

[1] الطيب محمد سعيد، الأنظمة الاجتماعية والدينية في غرب افريقيا الوثنية، جامعة أم درمان 2004ص 49،.52
[2] دفيدسون، بازل، مرجع سابق ص .97
[3] بان ديودوني، مرجع سابق ص .184
[4] فانسينا، جان، مرجع سابق ص .129
[5] ريموند / جون، المرأة في افريقيا التقليدية، ترجمة عائشة عبد الرحمان دار الهلال، القاهرة 1988ص .61

ومن هنا يمكن القول أن التنظيم الاجتماعي في المجتمع الوطني في السودان الغربي كان عاملا حاسما في استقرار تلك المجتمعات وتطور بنيتها السياسية والاقتصادية، ومن خلال منظومة القيم القبلية والأسرة والدين حافظت شيلكا المجتمعات على تماسكها، وأرست أسسا لبناء مماليك قوية لاحقا مثل مالي وسنغاي

2 – التنظيم الاقتصادي:

شكل التنظيم الاقتصادي أحد الركائز الأساسية التي بنيت عليها حياة المجتمع الوثني في السودان الغربي قبل تغلغل الإسلام بشكل واسع حيث ارتكز هذا التنظيم على مقومات طبيعية وبشرية ساهمت في بلورة نمط اقتصادي له خصوصية يتفاعلوا مع البيئة الجغرافية والاجتماعية والسياسية للمجتمع المحلي، ويشكل في نفس الوقت أحد عوامل القوة والتماسك في بنيت الدولة والمجتمع.

أ – الزراعة: كانت الزراعة تمثل النشاط الاقتصادي الأساسي والأوسع انتشارا في المجتمع الوثني حيث ارتكزت على إنجاز الحبوب مثل الذرة إلى جانب استغلال الأراضي الخصبة المحيطة بالأنهار مثل ضفاف نهر النيجر، وكانت أنظمة الري بدائية تعتمد على مياه الأمطار الموسمية، مع وجود بعض المحاولات لتنظيم العمل الزراعي على مستوى الجماعة أو القبيلة [1]

وكانت المحاصيل الأساسية وتشمل الدخن الذرة الرفيعة والفول السوداني وكانت هاتي الوفرة بمساعدة خصوبة التربة وتوفر المياه [2]

ب – الرعي وتربية المواشي: إلى جانب الزراعة، لعب الراعي دورا مهما في المناطق الصحراوية حيث تربية الأبقار والماعز والأغنام والإبل، حيث كانت تستخدم كمصدر للحليب

[1] فانسينا جان مرجع سابق ص .138

[2] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهر :نهضة مصر، د.ن)ص 247 .

واللحوم، واعتبرت مصدرا مهما للغذاء والثروة، كما ساهم الصيد وجمع الثمار في تلبية احتياجات المجتمعات التي تعيش في الغابات أو قرب الأنهار، وكانت هذه الأنشطة تمارس وفق نظام اجتماعي تقليدي حيث تنوع المهام بين أفراد الأسرة أو العشيرة، حيث تحدد متى وأين تتم الزراعة أو الرعية وهو ما يدل على اندماج الاقتصاد بالعرف والدين الوثني [1]

ج – التجارة : أما التجارة فكانت أحد أعمدة الاقتصاد الوثني فقد ربطت السودان الغربي بالعالم الإسلامي وكانت تعتبر نشاطا متطورا مقارنة ببقية المجالات فقد نشطت التجارة الداخلية بين القبائل وكانت المنتجات الزراعية والحيوانية متبادلة بين المجتمعات، وارتبطت بعض القبائل بمسارات التجارة العابرة للصحراء التي كانت كان مروا عبر السودان الغربي نحو شمال إفريقيا خاصة عشان تجارته الذهبي والعاج والملح والعبيد، وكانت بعض القبائل تتخصص في النقل أو الوساطة التجارية وهو ما ساعد على تشكيل مراكز تجارية نشطة مثل غاو قبل بروز الممالیك الإسلامي الكبرى [2]

د– الصناعة الحرفية: لقد عرفت هذه الصناعة نشاطا متنوعا تمثل في النسيج والحدادة والفخار ودباغة الجلود، وذلك بالاعتماد على مواد محلية وتقنيات تقليدية لكنها لبت حاجة السوق المحلية، وساهمت في الحركة التجارية حيث لعب الحرفيون دورا مهما في الأسواق الموسمية التي كانت تعقد دوريا [3]

هـ– الضرائب و الجبايات : حيث كانت السلطة المحلية السياسية في الممالیك الوثنية تفرضوا جبايات متعددة ، شملت الضرائب على الإنتاج الزراعي ورسوم المرور عبر الطرق إضافة إلى الزكاة في المناطق التي انتشر فيها الإسلام [4] يتضح من خلال دراستنا إلى هذا التنظيم

[1] ديفيد سون ز بازل، مرجع سابق ص .103
[2] الطيب محمد سعيد، الأنظمة الاقتصادية في غرب إفريقيا قبل الإسلام جامعة أم درمان 2005، ص 91.
[3] Davidcon B,African Kimgdons,(New yourk : timo_life books, 1971, p46
[4] الطرابلسي محمد النظام السياسي والاقتصادي في إمبراطورية مالي (تونس، دار الجنوب،1990) ص 99.

الاقتصادي في المجتمع الوثني في السودان الغربي، أنه تميز بالتنوع والتكامل، حيث ارتبط بالبيئة الطبيعية وتفاعل مع البنية الاجتماعية والدينية والسياسية كما أن التفاعل مع العالم الإسلامي عبر التجارة ساعد على تطوير أنماطه الإنتاج والتبادل مما مهد لقيام حضارات قوية كمالي وسونغاي، شكلت نماذج في التاريخ الإفريقي الإسلامي وتمكنت تلك المجتمعات من الاستمرار والتطور .

3- التنظيم السياسي : شهد السودان الغربي خلال القرنين الخامس والثامن هجري تطورا سياسيا واجتماعيا ملحوظا لذلك سوف نتطرق من خلال دراستنا لهذا التنظيم إلى معرفة أبرز المفاهيم التي اعتمد عليها حيث أن هذا التنظيم لم يكن مجرد حكم سلطوي بل كان يمثل نتاج تفاعل معقد بين العوامل الجغرافية والاقتصادية والدينية والثقافية، وكانت القبيلة تعد الوحدة السياسية الأساسية وكان لكل قبيلة زعيم يختار غالبا من الأسرة النبيلة أو الأفراد ذوي الكفاءة الدينية والاجتماعية ويحظى بشرعية تقليدية تستمد من الأعراف والمعتقدات الوثنية، وكان الزعيم يتولى مهام إدارة الشؤون العامة وحل النزاعات وتنظيم الإنتاج بالإضافة إلى تمثيل القبيلة أمام القبائل الأخرى في الحروب والأحلاف [1] .

كان النظام السياسي يعتمد على اللامركزية حيث تتمتع كل قبيلة أو مجموعة قرى باستقلال نسبي في إدارة شؤونها، وفي بعض الحالات تتجمع قبائل متعددة في شكل تحالف سياسي ينظم بواسطة مجلس من الزعماء دون أن يرقى إلى مستوى الدولة بالمعنى الدقيق وقد لعبت المجالس العشائرية دورا مهما في عملية اتخاذ القرار، خاصة تلك المتعلقة بالحرب والسلم، والعلاقات الخارجية، وتنظيم الموارد [2]

[1] دفيدسون بازل، مرجع سابق ص 110.
[2] الطيب محمد سعيد، الأنظمة السياسية في غرب إفريقيا قبل الإسلام، جامعة أم درمان 2005ص64.

ومما يلفت انتباهنا من خلال دراستنا في النظام السياسي الوثني هو التداخل الموجود بين السلطة الدنيوية والدينية، إذ غالبا ما كان الزعيم ينظر إليه على أنه يتمتع بقدرات خاصة أو أنه على علاقة بالقوى الغيبية وهو ما منحه مكان شبه مقدسة بين أفراد جماعته، وكانت طقوسه التنصيب والحكم تمارس في أجواء دينية تتخللها قرابين وتعاويذ تهدف إلى ضمان رضا الأرواح عن الحاكم الجديد وهو ما يعكس الارتباط الوثيق بين المعتقد الديني والسلطة السياسية [1] ومع ظهور بعض المراكز الحضارية مثل غاو وكينيا بدأت تظهر نظم أكثر تعقيدا تمهيدا لقيام مليك لاحقة مثل مملكة غانا، ورغم استمرار الطابع القبلي إلا أن هذه المراكز شهدت بداية بروز سلطة مركزية أقوى وظهور إدارات بدائية لتنظيم الجباية والتجارة والعلاقات مع الجماعات الأخرى مما يدل على أن التنظيم السياسي الوطني كان في طور الانتقال التدريجي نحو تشكيل الدولة [2]

[1] فانسينا جان، مرجع سابق ص 148.
[2] نيان ديودوني ، مرجع سابق ص225.

خلاصة الفصل:

وفي الأخير نستطيع القول من خلال دراستنا للتنظيم السياسي في السودان الغربي أنه يكشف عن تطور تدريجي من الزعامة القبلية إلى الدولة المركزية، مع تداخل مؤسسات الدين والسلطة فقد ساهم هذا التنظيم في الحفاظ على وحدة الدولة وتأمين طرق التجارة وترسيخ سلطة القانون والعرف.

الفصل الثالث

الأسرة والمجتمع في ظل الإسلام

الفصل الثالث

الأسرة والمجتمع في ظل الإسلام

أولا: العناصر الفاعلة في المجتمع

1- الفقهاء والعلماء

2- القضاة

3- التجار

ثانيا: مكانة المرأة المسلمة في السودان الغربي

ثالثا: التنظيم الاجتماعي

رابعا: الإسلام والتحولات الاجتماعية في مجتمع السودان الغربي

1- العادات والتقاليد

2- اللباس

3- الأكل

4- الحقوق والواجبات

5- المناسبات وكيفية الاحتفال بها

6- الأحوال الشخصية (الزواج -الطلاق - الميراث)

أولا: العناصر الفاعلة في المجتمع

1-الفقهاء والعلماء

شكّل الفقهاء والعلماء نواة التغيير الاجتماعي والثقافي في السودان الغربي في الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والثامن الهجريين (11م – 14م)، إذ لعبوا دورًا مركزيًا في أسلمة البنية المجتمعية وتعزيز الهوية الإسلامية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. فقد ساهموا في نشر القيم الإسلامية، وتوطيد التعاليم الدينية، وتعزيز المرجعية الفقهية التي استمدت شرعيتها من انتمائها لمدارس مغاربية عريقة مثل المالكية والأشعرية.

إن الدور الذي أدّاه الفقهاء المغاربة في بلاد السودان الغربي لم يكن تقليديًا يقتصر على التعليم فقط، بل امتد إلى القضاء، والإمامة، والفتوى، وحتى الوساطة الاجتماعية والسياسية، وهو ما منحهم موقعًا فاعلًا في صناعة القرار وتوجيه السلوك الجمعي (ص6). وقد استفاد هؤلاء العلماء من "الاحترام الكبير الذي حظوا به بين السكان والزعامات المحلية"، ما مكّنهم من التأثير بعمق في بنية الأسرة والعلاقات الاجتماعية، وفرض نموذج اجتماعي جديد قائم على الشريعة الإسلامية[1].

وقد ارتبطت هذه الدينامية التغيرية بهجرة العلماء من المغرب الأقصى ودرعه وفأس وتلمسان نحو بلاد السودان الغربي، حيث أسّسوا مدارس ومساجد وزوايا. وبرز من هؤلاء العلماء الفقيه عبد الله بن ياسين، مؤسس حركة المرابطين، الذي يُعد من أوائل من سعوا إلى أسلمة قبائل المنطقة، كما أسهمت جهوده في "ربط الجنوب الصحراوي بالمراكز العلمية الكبرى في الشمال الإفريقي".[2]

كما أشار الباحث إلى أن التأثير العلمي للفقهاء لم يقتصر على نقل المعارف الدينية، بل ترافق مع "تكوين نخب محلية متعلّمة أصبحت بدورها ناقلًا للمعرفة، وأداة للحفاظ على الإسلام في المنطقة"[3]. ويؤكد يوسف فضل (1971) على هذه النقطة، إذ يذكر أن "وجود الفقهاء كان عاملاً حاسمًا في

---

[1] ميهوب بن فارح، دور الفقهاء المغاربة في نشر العلوم الشرعية في بلاد السودان الغربي القرن 5 هـ - 10هـ / 11 م - 16 م.، مجلة الباحث، العدد 17، 2021،ص. 6.

[2] محمد بن الحاج، الحياة العلمية في المغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب.، الجزائر، 1982، ص 44.

[3] ميهوب، المرجع السابق، ص. 11

استقرار الإسلام واندماجه في النسيج الاجتماعي للسودان الغربي"، من خلال نظام التعليم الديني المتمثل في الكتاتيب، والمساجد، والتدريس الفردي[1].

وفي هذا السياق، لعب الفقهاء أيضًا دورًا توعويًا في ترسيخ الأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الأسرية، مثل الزواج، والطلاق، والميراث، وهو ما أسهم في إعادة تنظيم العلاقات داخل الأسرة على أسس دينية، وتجاوز كثير من الأعراف الوثنية السابقة. بل إن التأثير الفقهي كان واضحًا في ظهور نخب فقهية محلية بدأت تساهم في إصدار الفتاوى، مما عزّز من مكانة العلماء كمراجع أخلاقية واجتماعية، وليس فقط دينية[2]

وهكذا، فإن الدور الذي اضطلع به الفقهاء والعلماء المغاربة في السودان الغربي كان متعدد الأبعاد: تربوي، اجتماعي، سياسي، وأخلاقي، وقد ساهم بشكل حاسم في نقل المجتمع من نمط وثني تقليدي إلى مجتمع إسلامي مهيكل بقيم الشريعة ومعاييرها، مع إرساء قاعدة معرفية تعززت لاحقًا في عهد الممالك الإسلامية الكبرى كالمرابطين والموحدين.

2-القضاة

ارتبط نظام القضاء في السودان الغربي خلال القرون الخامس إلى الثامن الهجري (11م – 14م) ارتباطًا وثيقًا بتطور النظام الإسلامي ومؤسساته، وخاصة مع توسّع النفوذ السياسي والديني للممالك الإسلامية في المنطقة، مثل مملكتي غانا ومالي .وقد شكّل القضاة إحدى الركائز الأساسية للمجتمع الإسلامي الوليد، ليس فقط كسلطة قانونية للفصل بين الناس، وإنما كممثلين للقيم الشرعية والعدالة الاجتماعية، ومرجعيات أخلاقية حازت ثقة العامة والنخب على حد سواء.

في المصطلح الإسلامي، يُعرّف القضاء بأنه "الفصل في الخصومات وقطع المنازعات على وجه مخصوص"، كما يُنظر إلى القاضي باعتباره "ركنًا ركينًا في جهاز القضاء" لا يمكن الاستغناء عنه.

[1] ميهوب، المرجع السابق ص. 88

[2] محمد الحجوي الثعالبي.، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. القاهرة: المطبعة السلفية. 1932، ص 63.

وكان القضاة يتقيدون بأدق المعايير الأخلاقية والعلمية، حيث شُرط في القاضي أن يكون عالمًا بالشريعة، عدلاً، ورعًا، غير منشغل بغير مهمته، ولا يصدر حكمًا وهو غاضب، ويستمع للطرفين المتنازعين بإنصاف[1]

اعتمد القضاء في السودان الغربي على المذهب المالكي، الذي انتقل إلى المنطقة مع العلماء والدعاة القادمين من المغرب الإسلامي، خاصة من فاس ودرعه وتلمسان. وقد أسهم عبد الله بن ياسين الجدالي (ت. 451هـ/1059م)، مؤسس حركة المرابطين، في ترسيخ هذا المذهب، الذي أصبح الإطار المرجعي الرسمي في كافة جوانب الحياة، بما في ذلك القضاء[2]

ومن أبرز من دعم هذا التوجه، الملك مانسا موسى (738–762هـ/1337–1361م)، الذي عمل على جلب العلماء إلى السودان الغربي، وإرسال البعثات التعليمية إلى المغرب، مما جعل القضاء في تلك الحقبة أكثر انضباطًا وقربًا من النموذج الفقهي المالكي كما هو متداول في شمال إفريقيا.[3]

كانت جلسات القضاء تُعقد في الغالب داخل المساجد، ومنها مسجد سيدي يحيى التادلسي في تمبكتو، الذي أسس في القرن الخامس الهجري، وأصبح مركزًا علميًا وقضائيًا هامًا. ويُظهر ذلك الحرص على توفير فضاء علني يكرّس الشفافية ويمنح الثقة لأطراف النزاع[4]

لم يكن دور القاضي مقتصرًا على الفصل في النزاعات، بل امتد ليشمل الرقابة على الأخلاق العامة، توزيع الصدقات، والوساطة بين القبائل والأسر .كما كانوا يتقاضون رواتب من بيت مال المسلمين، مما يضمن استقلاليتهم النسبيّة في إصدار الأحكام. وفي المناطق التي لم تكن فيها سلطة مركزية، كان أهل الحل والعقد من العقلاء والعلماء يتولون مهمة تعيين القضاة، وهي ممارسة عكست مرونة النظام القضائي وقدرته على التكيف مع السياقات المحلية.

[1] محمد مولاي. (2019). القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثاني عشر هجري. أطروحة ماجستير، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2019، ص 45.
[2].. مولاي، المرجع السابق، ص 45.
[3] مولاي، المرجع السابق، ص 61.
[4] مولاي، المرجع السابق، ص44.

وقد أفرز هذا النظام قضاة بارزين تركوا بصمتهم في تاريخ السودان الغربي، مثل:[1]

- القاضي عبد الرحمن التميمي، الذي رافق مانسا موسى في حجّه واستقر بتمبكتو، وكان عالمًا ومفتيًا ذائع الصيت، وصفه ابن بطوطة بأنه "من أهل الخير والفضل."
- القاضي أبو العباس الدكالي، الذي قضى أكثر من ثلاثين سنة في مالي، وعُرف بعلو كعبه العلمي.
- القاضي عبد الله بن وانسول، عُيّن قاضيًا في كوكو عام 776هـ، واشتهر بفقهه العميق.
- القاضي الشيخ عثمان، من علماء غانا، قام برحلة حج بارزة عام 799هـ شملت مصر.
- القاضي محمد الكبير، أحد أبرز قضاة تمبكتو لاحقًا، ورغم نشاطه في القرن العاشر الهجري، إلا أن صعوده ارتكز على أسس وضعت خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

كل هذه المعطيات تؤكد أن القضاة في السودان الغربي لم يكونوا مجرد موظفين إداريين، بل فاعلين مركزيين في إنتاج النظام الاجتماعي الإسلامي الجديد، وموجّهين لمسار التحولات الثقافية والقانونية في تلك المجتمعات.

3-التجار

شكَّل التجارُ عنصرًا حيويًّا في التحولات الاجتماعية بالسودان الغربي خلال القرون الإسلامية الوسيطة (5-8هـ/11-14م)، حيث تجاوز دورُهم النشاطَ الاقتصادي إلى التأثير العميق في البنية المجتمعية ونشر القيم الإسلامية. وقد تميَّزوا بدورٍ ثنائي: كناقلين للسلع بين الشمال والصحراء، وحاملين لتعاليم الإسلام وعاداته. فمن خلال تعاملاتهم اليومية، قدَّموا نموذجًا عمليًّا للسلوك الإسلامي، حيث لاحظ السكان المحليون التزامَهم بالصلاة والنظافة والوضوء، وهي ممارسات أثارت انبهارَ الزنوج وساهمت في تقبُّل الإسلام. كما أسهم التجار في تأسيس البنى التحتية الدينية والتعليمية،

[1] مولاي، المرجع السابق، ص65-76.

مثل بناء المساجد لأداء الصلوات والمدارس لتعليم القرآن ومبادئ العربية، مما عزَّز الاندماج المجتمعي تحت مظلة الثقافة الإسلامية[1]

اتَّسم منهج التجار في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، متبعين مبدأ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، مما سهَّل تقبُّل الأفارقة للإسلام دون إكراه. وقد انعكس هذا في تحوُّل مجتمعات بأكملها، كما في حالة ملك مالي الذي أسلم هو ورعيته بعد تفاعله مع التاجر الداعية علي بن يخلف، الذي جمع بين التجارة وتبيين تعاليم الإسلام، مما أدى إلى تحوُّل المملكة إلى الإسلام وهدم الأصنام[2]. كما نقل التجارُ الكتبَ والمخطوطات العربية، وعزَّزوا مكانة اللغة العربية كلغة للدين والمعرفة، حيث ورد أن تعلُّم حرف منها "كعبادة ستين سنة" وفق روايات إباضية.[3]

واجه التجار تحدياتٍ سياسيةً واقتصادية أثَّرت في حركتهم، خاصةً مع صعود الدول السنية كالمرابطين (القرن 5هـ) والموحدين (القرن 6هـ)، التي سيطرت على طرق التجارة الصحراوية وقلَّصت نفوذ التوجهات المذهبية الأخرى. ورغم ذلك، استمر تأثيرهم الاجتماعي عبر تعزيز العادات الإسلامية في الملبس والمأكل والمناسبات، وتركيزهم على العدل في المعاملات، مما غيَّر المفاهيم التقليدية للحقوق والواجبات. يُلاحَظ أن المصادر التاريخية ركَّزت على أسماء محددة من المشايخ التجار (كعبد الوهاب بن عبد الرحمن في القرن 3هـ)، لكنها تشير إلى وجود عددٍ أكبرَ من التجار المجهولين الذين لم تُدوَّن أخبارهم، مما يؤكد اتساع نطاق التأثير الاجتماعي للتجارة بما يفوق ما تُوثِّقه النصوص[4]

[1] صالح الزرويل، التجارة الإباضية ودورها في نشر الإسلام بالسودان الغربي من خلال المصادر الإباضية. عصور، 23(1)، 20ص 4.
[2] الزرويل، المرجع السابق، ص. 13
[3] الزرويل، المرجع السابق، ص. 10
[4] الزرويل، المرجع السابق، ص. 7

ثانيا: مكانة المرأة المسلمة في السودان الغربي

شهدت مكانة المرأة المسلمة في السودان الغربي خلال الفترة من القرن الخامس إلى الثامن الهجري (الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلادي) تطوراً ملحوظاً تحت تأثير الإسلام، مع استمرار تفاعلها مع الأطر الاجتماعية والثقافية المحلية القائمة. لم يكن هذا التأثير أحادي الاتجاه، بل نتج عن تفاعل معقد بين المبادئ الإسلامية الواردة في القرآن والسنة، والممارسات العملية للفقهاء والقضاة، والأنماط الاجتماعية التقليدية السائدة في مجتمعات مثل غانا ومالي وأوائل سنغاي.

من أبرز التحولات التي أتى بها الإسلام كانت في مجال الحقوق القانونية الإرثية .نظرياً، منح الإسلام المرأة حقوقاً محددة في الميراث، مخالفاً بذلك بعض الأعراف المحلية التي كانت غالباً ما تحرم النساء تماماً أو تمنحهن حصة ضئيلة جداً مقارنة بالرجال. نص القرآن صراحة على حصة الأنثى (غالباً نصف حصة الذكر في نفس الدرجة) لقوله تعالى{ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }(النساء: 11). ومع ذلك، تشير المصادر إلى أن تطبيق هذه الأحكام لم يكن كاملاً أو موحداً في جميع أنحاء السودان الغربي خلال هذه الفترة. فقد استمرت بعض العادات المحلية، خاصة بين عامة الناس أو في المناطق الأقل تأثراً بالفقهاء، في تقييد حقوق المرأة في الميراث أو التحكم في ممتلكاتها بعد الزواج [1]. كان دور القضاة والفقهاء حاسماً في الدفاع عن هذه الحقوق الإسلامية للمرأة عند الطلب، لكن قدرتهم على فرضها على نطاق واسع كانت محدودة بمدى سلطة الدولة وقبول المجتمع.

[1] Levtzion, N. (1980). Ancient Ghana and Mali. Methuen. P 141

في مجال الزواج والطلاق والأسرة، أدخل الإسلام مفاهيم جديدة. أصبح عقد الزواج (العقد) عنصراً أساسياً، يتطلب رضا المرأة البالغة (إذن الولي كان معمولاً به لكن مفهوم الرضا كان مهماً). كما نظم الإسلام إجراءات الطلق، محاولاً وضع ضوابط لحماية المرأة من الطلق التعسفي، مثل فترة العدة والحق في المهر المؤجل والمتعة [1] ومع ذلك، بقيت تعدد الزوجات ممارسة مقبولة اجتماعياً وقانونياً وفق الحد الإسلامي (أربع زوجات)، وغالباً ما كانت تعكس الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للرجل. تشير روايات مثل رواية ابن بطوطة عن سلوكيات نساء مالي في القرن 8هـ/14م إلى وجود فجوة أحياناً بين المثالية الإسلامية والممارسة الاجتماعية فيما يتعلق بالاختلاط وحدود العلاقات بين الجنسين .كما أن ممارسات مثل "صديقات الرجل" المذكورة في مالي وقت ابن بطوطة كانت تتعارض بوضوح مع الأخلاق الإسلامية الرسمية.

أما في المجال الاقتصادي، فقد لعبت المرأة، خاصة في المراكز الحضرية والمراكز التجارية، دوراً نشطاً. كانت النساء المسلمات، مثل غيرهن، يمارسن التجارة، خاصة في الأسواق المحلية، ويتعاملن في السلع اليومية والمنسوجات والمواد الغذائية. يذكر ابن بطوطة بإعجاب استقلالية نساء مالي الاقتصادية ومشاركتهن الفاعلة في التجارة وامتلاكهن للخدم[2] هذا الاستقلال الاقتصادي النسبي، الموروث ربما من تقاليد سابقة، منح بعض النساء المسلمات درجة من النفوذ والحركة داخل المجتمع. كما لعبن دوراً رئيسياً في إدارة شؤون الأسرة والمنزل.

في المجال الديني والثقافي، فتح الإسلام آفاقاً جديدة للتعلم. بينما كان التعليم الديني المتعمق محصوراً في الغالب بالرجال، خاصة في المراكز العلمية مثل تمبكتو وجاو، تشير الأدلة إلى أن بعض النساء، خاصة من الأسر المرموقة أو المتصلة بالفقهاء (بنات العلماء، زوجاتهم)، حصلن على قدر من التعليم الديني. كن يتعلمن القرآن، ومبادئ الفقه، والأخلاق الإسلامية في المنزل أو في حلقات

[1] Robinson, D. (2004). Muslim Societies in African History. Cambridge University Press. P 42

[2] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (ع. م. العبدلي، محرر). أكاديمية المملكة المغربية.،2002، ص 249

خاصة[1] كان لهذا التعليم أثره في تنشئة الأجيال التربية الإسلامية وزرع القيم الدينية داخل الأسرة، مما جعل المرأة عماداً للحفاظ على الهوية الإسلامية في المنزل.

ومع ذلك، من المهم التأكيد على أن تجربة المرأة المسلمة لم تكن موحدة. فقد تفاوتت مكانتها بشكل كبير حسب الطبقة الاجتماعية والموقع الجغرافي (حضر/ريف) والانتماء العرقي .كانت نساء النخبة الحضرية (عائلات التجار، الفقهاء، الحكام) يتمتعن بفرص أكبر للتعلم والحماية القانونية نسبياً ومستوى معيشي أعلى، بينما واجهت نساء الطبقات الدنيا والمناطق الريفية تحديات أكبر، وكان تأثرهن بالإسلام أبطأ، واستمرار الأعراف المحلية في حياتهن أقوى[2] كما أن عملية أسلمة العادات المتعلقة بالمرأة (مثل طقوس الزواج، المهر، اللباس، الاحتفالات) كانت تدريجية ونسبية، حيث امتزجت الممارسات الإسلامية مع التقاليد المحلية.

رفع الإسلام مكانة المرأة المسلمة في السودان الغربي نظرياً من خلال منحها حقوقاً قانونية وإرثية معينة وحماية في الزواج والطلاق. كما فتح لها باباً للمشاركة الاقتصادية في الأسواق والتعليم الديني الأساسي، خاصة في الأوساط الحضرية والنخبوية. ومع ذلك، ظلت هذه المكانة محصورة ضمن الأطر الاجتماعية الأبوية السائدة، وتفاوتت بشكل كبير حسب الطبقة والموقع، وظلت عرضة للتنازع بين المبادئ الإسلامية والأعراف المحلية العميقة الجذور، ولم تحقق المساواة الكاملة التي قد توحي بها النصوص الدينية في الممارسة العملية خلال هذه الفترة التكوينية.

[1] Saad, E. N٤. Social History of Timbuktu: The Role of Muslim Scholars and Notables 1400-1900. Cambridge University Press1983 .P 148

[2] Levtzion, N., & Hopkins, J. F. P. (Eds.). (1981). Corpus of Early Arabic Sources for West African History. Cambridge University Press. P 15

ثالثا: التنظيم الاجتماعي

ميز المجتمع في السودان الغربي خلال الفترة الإسلامية بتنظيم اجتماعي معقد، تأثر بالعوامل الدينية والاقتصادية والسياسية، حيث تشكلت البنية الاجتماعية من عدة طبقات وفئات تفاعلت فيما بينها وفق أنماط محددة. يمكن تقسيم هذا التنظيم إلى عدة مستويات:

أ. الطبقات الاجتماعية

كان المجتمع في السودان الغربي مجتمعًا طبقيًّا، لكن هذه الطبقات لم تكن مغلقة تمامًا، إذ أتاحت بعض الفرص للحراك الاجتماعي. وفقًا للمصادر، يمكن تحديد الطبقات الرئيسية كما يلي:

1-النخبة الحاكمة (الملوك والأمراء والعلماء):

شكَّل الحكام والعلماء والفقهاء الطبقة العليا في المجتمع، حيث تمتعوا بامتيازات كبيرة. في مملكة مالي، مثلاً، كان مانسا موسى يُحيط نفسه بالفقهاء والقضاة، الذين لعبوا دورًا أساسيًّا في إدارة الدولة.[1] وفي مملكة سنغاي، منح الأشكيا الحاج محمد العلماء مرتبات مجزية وأعفاهم من الضرائب، مما عزز مكانتهم الاجتماعية.[2]

2-التجار وأصحاب الثروات:

احتل التجار مكانة مرموقة، خاصة في المدن التجارية الكبرى مثل تمبكتو وجني، حيث كانوا يتحكمون في طرق القوافل ويتبادلون السلع مع شمال إفريقيا وأوروبا. ذكر الحسن الوزان أن تجار الكتب في تمبكتو كانوا يجنون أرباحًا طائلة، مما جعلهم من أكثر الفئات ثراءً.[3]

[1] عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان. باريس: هوداس ، 1964، ص 12.
[2] حسن الوزان، وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر. بيروت: دار الغرب الإسلامي ،1983.، ص 167.
[3] الوزان، نفس المرجع السابق.، ص 167

3-الطبقة الوسطى (الحرفيون والفلاحون):

ضمت هذه الطبقة الحرفيين والزراعيين الذين شكلوا العمود الفقري للاقتصاد المحلي. في المناطق الريفية، اعتمد المجتمع على الزراعة وتربية الماشية، بينما في المدن، انتشرت الحرف مثل النجارة والحدادة والنسيج.

4-العبيد والخدم:

كانت العبودية جزءًا أساسيًّا من التنظيم الاجتماعي، حيث استُخدم العبيد في الأعمال المنزلية والزراعة والحروب. ومع ذلك، كانت هناك حالات يُعتق فيها العبيد، خاصة إذا أظهروا ولاءً لسادتهم، كما حدث عندما أعتق الأشكيا الحاج محمد عبدًا وأصبح مستشارًا له.[1]

ب. النظام القبلي والعائلي

لعبت القبائل دورًا محوريًّا في تشكيل الهوية الاجتماعية، حيث انقسم المجتمع إلى مجموعتين رئيسيتين:

- **القبائل المحلية (السودانية):**

مثلت القبائل السودانية، كالسوننكي والماندينغو والصوصو، العمود الفقري للمجتمع. كانت هذه القبائل تقوم على نظام عشائري، حيث تحكمها علاقات الدم والزواج. مثلاً، تحولت قبائل والماندينغو إلى الإسلام تحت حكم مانسا موسى، مما عزز وحدتهم الاجتماعية.[2]

[1] محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. باريس: هوداس.1964، ص 60.
[2] سعد مطير، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي. طرابلس: دار المدار الإسلامي. 2005، ص 40

- **القبائل الوافدة (العربية والبربرية):**

هاجرت قبائل مثل بني حسان والطوارق من شمال إفريقيا، واستقرت في مناطق السودان الغربي، حيث لعبت أدوارًا اقتصادية وسياسية مهمة. سيطر الطوارق، على سبيل المثال، على طرق التجارة الصحراوية، بينما اختلط العرب مع السكان المحليين وشكلوا نخبًا جديدة.[1]

ت. المؤسسات الدينية والتعليمية:

كان للمؤسسات الدينية تأثير كبير على التنظيم الاجتماعي، حيث مثَّلت المساجد والمدارس مراكز للتعليم والإدارة. في تمبكتو، مثلاً، جذب جامع سانكور آلاف الطلاب من مختلف أنحاء المنطقة، وكان الفقهاء يُشاركون في القضاء وحل النزاعات الاجتماعية. كما لعبت الزوايا والطرق الصوفية دورًا في توحيد المجتمعات حول قيم إسلامية مشتركة.[2]

ث. العلاقات بين الريف والحضر

كانت هناك فجوة واضحة بين سكان المدن وسكان الريف:

- **المجتمع الحضري:**

تميز بالتنوع الثقافي والاقتصادي، حيث عاشت فيه مجموعات عرقية ودينية مختلفة، وتفاعلت من خلال الأسواق والمؤسسات التعليمية. كانت المدن مثل تمبكتو وجني مراكز للإشعاع الفكري والتجاري.

- **المجتمع الريفي:**

اعتمد على الزراعة وتربية الماشية، وكان أكثر تمسكًا بالتقاليد المحلية. كانت القبائل الريفية أقل تأثرًا بالإسلام مقارنة بالمدن، مما خلق تنوعًا دينيًّا واجتماعيًّا.

[1] عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأشقياء. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 2000، ص 48.
[2] الوزان، المرجع السابق، ص. 167

ج. العادات والتقاليد

حافظ المجتمع على العديد من العادات التي تعكس هويته المختلطة:

- **الاحتفالات الدينية والاجتماعية:**

مثل الاحتفال بالأعياد الإسلامية (رمضان، الأضحى)، بالإضافة إلى الطقوس التقليدية كالزواج والختان، التي مزجت بين العناصر الإسلامية والمحلية.[1]

- **اللباس والطعام:**

تأثرت الملابس بالثقافة الإسلامية، خاصة في المدن، حيث انتشرت الجلابيب والحجاب، بينما حافظ الريف على الأزياء التقليدية. كما ظلت الأطعمة المحلية، مثل الذرة واللحوم، أساس النظام الغذائي.

كان التنظيم الاجتماعي في السودان الغربي نتاج تفاعل بين الإسلام والتقاليد المحلية، حيث تشكل من طبقات متعددة وقبائل متنوعة. على الرغم من التمييز الطبقي، سمحت بعض المجتمعات بحراك اجتماعي محدود، خاصة في المدن التي أصبحت مراكز للثقافة والتجارة. لعب الدين والعرف دورًا رئيسيًّا في صياغة العلاقات الاجتماعية، مما جعل المجتمع السوداني نموذجًا للتنوع والاندماج.

[1] السعدي، المرجع السابق، ص. 13

رابعا: الإسلام والتحولات الاجتماعية في مجتمع السودان الغربي

1-العادات والتقاليد

شهدت العادات والتقاليد في السودان الغربي تحولاً جذرياً ومتداخلاً مع انتشار الإسلام بين القرنين الخامس والثامن الهجريين، حيث نتج عن هذا التفاعل بين التعاليم الإسلامية والموروث المحلي نسيج اجتماعي فريد جمع بين الأصالة الإسلامية والخصوصية الأفريقية. وكما يذكر السعدي، فقد شهدت المنطقة تحولاً تدريجياً من الممارسات الوثنية السائدة في مملكة غانا وغيرها من الممالك إلى العبادات التوحيدية، مع احتفاظ بعض الطقوس القديمة بصيغ معدلة تتوافق مع الشريعة الإسلامية، كتحويل طقوس القرابين الزراعية إلى ذبائح عيد الأضحى، مما يعكس المرونة التي اتسم بها هذا التحول الديني والاجتماعي.[1]

في هذا السياق، برز دور شيوخ القبائل والعلماء كوسطاء بين التراث المحلي والتعاليم الإسلامية. فبحسب المصادر، كان شيوخ قبائل الكنتة على سبيل المثال يؤذنون في أذن المولود اليمنى ويقرؤون عليه الأدعية والآيات القرآنية، مما يؤكد مكانتهم الدينية والاجتماعية.

كما تميزت معاملة شيوخ القبائل للأطفال بالحسنى، حيث كانوا يحرصون على إكرامهم وإيوائهم وإطعامهم، في ممارسة تجسد القيم الإسلامية في الرحمة والرعاية. أما في مجال الزواج، فقد انتشر العقد وفق المذهب المالكي، مع احتفاظ كل قبيلة ببعض الأعراف الخاصة بها. ففيما يتعلق بالمهر، اختلفت الممارسات بين القبائل، حيث كان بعضها يأخذه كاملاً بينما أعاد البعض الآخر نصفه للزوج، كما ذكرت بعض المصادر.[2]

[1] السعدي،المرجع السابق، ص. 35

[2] فردوس حناني، محمد خليفة الكنتي 1179 - 1242 ه -1765 - 1826م، حياته وآثاره التاريخية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران. 2008 -2009، ص 130-131.

لقد أسهم الإسلام في إضفاء الطابع النظامي على العديد من الممارسات الاجتماعية. فبحسب الكعتي، استمرت أنظمة مثل الدية والعرف القبلي في حل النزاعات، ولكن مع إدخال تعديلات عليها لتتوافق مع أحكام الشريعة، كاشتراط شهادة العدول في القضايا[1]. كما لاحظ الوزانكيف تم إضفاء الطابع الإسلامي على تقاليد الضيافة والكرم من خلال ربطها بالسنة النبوية والأحاديث الشريفة، مما أعطاها بعداً دينياً جديداً.[2]

في الجانب اللغوي والحياتي اليومي، يشير مطير إلى اعتماد التقويم الهجري في تنظيم المواسم الزراعية والمناسبات الاجتماعية، بدلاً من الاعتماد السابق على التوقيت القمري الفلكي.[3] بينما يؤكد زبادية على انتشار التحيات الإسلامية مثل "السلام عليكم" واختلاطها باللغات المحلية في الأمثال والأغاني والخطابات اليومية، مما خلق لغة هجينة تعكس التمازج الثقافي.[4]

غير أن المناطق الريفية حافظت على بعض التقاليد القديمة جنباً إلى جنب مع الممارسات الإسلامية الجديدة. كما يذكر الوزان، فقد دمج الفلاحون طقوس الاستسقاء التقليدية بالدعاء الإسلامي، واستمر الاعتماد على الطب الشعبي مع محاولات الفقهاء التمييز بين الممارسات الشرعية وغير الشرعية. وفي هذا الصدد، برز التمايز بين الريف والحضر بشكل واضح[5]، حيث سجل زيادية تحولاً جذرياً في المدن الكبرى مثل تمبكتو وجني، حيث حلّت قراءة القرآن محل الرقصات التقليدية في المناسبات، وانتشرت الأسماء العربية محل الأسماء التقليدية.[6]

أما فيما يتعلق بوضع المرأة، فقد شهد تحسناً ملحوظاً في ظل الإسلام، خاصة في عهد شيوخ مثل محمد الخليفة الذي حرص على إكرام المرأة ومنحها حقوقها الشرعية في الزواج من مرحلة الخطبة

[1] الكعت، المرجع السابق، ص 60
[2] الوزان، المرجع السابق، ص 167
[3] سعد مطير، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي. طرابلس: دار المدار الإسلامي. 2005، ص 40
[4] زبادية، المرجع السابق، ص 148
[5] الوزان، المرجع السابق، ص 166
[6] زبادية، المرجع السابق، ص 102

إلى العقد والدخول، كما ورد في المصادر. ومع ذلك، استمرت بعض الممارسات التقليدية في المناطق النائية، مما يعكس الطبيعة التدريجية وغير المتساوية لهذا التحول الاجتماعي الكبير.[1]

2-اللباس

شهدت أنماط اللباس في السودان الغربي تطوراً ملحوظاً مع انتشار الإسلام، حيث امتزجت التقاليد المحلية بالعناصر الإسلامية الوافدة لتشكل مظهراً حضارياً مميزاً. كما يذكر بن بحان وعبد الرحمان، فقد تأثرت المنطقة باللباس الإسلامي المتمثل في العمائم والسراويل والبرانس، حيث كان للشيخ محمد الخليفة ووالده أزياء خاصة لاستقبال الوفود تضمنت الملابس العريضة والقمصان والسراويل والبرنوس والعمائم. هذا التحول لم يقتصر على النخبة فحسب، بل شمل مختلف طبقات المجتمع، وإن بدرجات متفاوتة.[2]

أما بالنسبة للنساء، فقد اتسم لباس الكنتيات بالاحتشام الإسلامي، حيث ارتدين الخمار والملا حف التي تغطي كامل الجسد. وتشير الدراسة إلى تباين أنواع الأقمشة المستخدمة حسب المناطق، ففي أزواد استعمل قماش الطاري الفاخر، بينما استخدم القماش العادي في توات. هذا التباين يعكس ليس فقط الفروق الجغرافية والمناخية، بل أيضاً التفاوت في المستويات الاقتصادية بين المناطق المختلفة.[3]

لعب اللباس دوراً اجتماعياً مهماً في المجتمع السوداني الغربي، حيث أصبح مؤشراً على المكانة الاجتماعية والانتماء الديني. فقد اهتم السكان بتخصيص ألبسة للمناسبات المختلفة، كما أولوا عناية خاصة لملابس الضيوف، حيث خصصت غرف كاملة لاستقبالهم، مما يعكس قيم الكرم وحسن الضيافة المتأصلة في الثقافة المحلية والمتعاضدة مع القيم الإسلامية.[4]

[1] فردوس، المرجع السابق، ص 132

[2] محمد بن بحان،وعبد الرحمان نواصر، التأثيرات الإصلاحية لقبيلة كنته في السودان الغربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. مجلة البحوث والدراسات العلمية، المجلد 19، العدد 1. جامعة تامنغست، الجزائر. 2025، ص 15.

[3] محمد بن بحان، نفس المرجع السابق.، ص 15.

[4] محمد بن بحان، نفس المرجع السابق، ص 16.

ظل هذا التحول في أنماط اللباس متوازناً بين الأصالة والمعاصرة، حيث احتفظت بعض المناطق بخصائصها المحلية في صناعة النسيج والألبسة، بينما تبنت مناطق أخرى الأنماط الإسلامية بشكل كامل. هذا التمازج بين التراث المحلي والوافد جعل من اللباس في السودان الغربي نموذجاً حياً للتفاعل الحضاري الذي ميز المنطقة خلال تلك الفترة.

3-الأكل

شكّل الطعام في السودان الغربي خلال العصر الإسلامي انعكاساً واضحاً للتحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المنطقة، حيث تجلّى التفاعل بين الموروث المحلي والعادات الإسلامية الوافدة في الأنماط الغذائية اليومية. اعتمد السكان في غذائهم الأساسي على منتجاتهم المحلية من لحوم الإبل والأغنام والأبقار، إلى جانب منتجات الألبان التي شكلت مصدراً مهماً للبروتين، كما ذكر خالدي. وقد اكتملت هذه الوجبات بما تنتجه الأرض من خضروات كالباذنجان والبصل والثوم واللفت، إلى جانب المحاصيل الأساسية مثل الذرة والأرز والفوني التي شكلت العمود الفقري للنظام الغذائي[1]

مع دخول الإسلام ووصول العائلات المسلمة إلى المنطقة، شهدت الثقافة الغذائية تحولاً ملحوظاً، حيث أدخل الوافدون الجدد أطباقاً جديدة لم تكن معروفة سابقاً في السودان الغربي. ومن بين هذه الأطباق الكسكسي الذي أصبح طبقاً شعبياً، بالإضافة إلى الحلويات الإسلامية مثل القطائف، كما أشار خالدي. وقد أثر الكنتيون بشكل خاص في العادات الغذائية، حيث أدخلوا نظاماً جديداً لتوزيع الوجبات اليومية، فجعلوا العشاء وجبة رئيسية تتضمن الأطعمة الدسمة واللحوم، بينما اعتمد الصباح على الحساء والوجبات الخفيفة[2].

[1] مسعود خالدي، أثر الجاليات العربية والبربرية على الحياة الاجتماعية في السودان الأوسط والغربي بين القرنيين 5 و10ه و16 و11م.،2013، ص 185.

[2] خالدي، المرجع السابق، ص 186

تميز المجتمع السوداني الغربي باهتمام خاص بثقافة الطعام والإنفاق عليه، حيث يذكر الشيخ محمد الخليفة أن سياسة والده اعتمدت على بذل الطعام وتوفيره للجميع، مع الحرص على ادخار بعض الأطعمة النادرة في المنطقة مثل التمر والعسل والزيت، كما ذكرت فردوس. وقد برز الأرز كأحد الأطعمة المفضلة لدى الكنتين، حيث كانوا يجلبونه من نهر النيجر ويعدّونه بطرق مختلفة، إما مع الحليب والسمن أو مع التمر الذي كانوا يستوردونه من منطقة توات[1].

يعكس تطور النظام الغذائي في السودان الغربي خلال هذه الفترة التفاعل الحضاري العميق بين السكان المحليين والوافدين المسلمين، حيث مثل الطعام جسراً للتواصل الثقافي ووسيلة لانتشار القيم الإسلامية في الكرم وحسن الضيافة. كما أظهرت الأنماط الغذائية الجديدة مدى تأثر المنطقة بالحضارة الإسلامية الوافدة، مع احتفاظها ببعض الخصائص المحلية التي شكلت هوية غذائية مميزة للسودان الغربي.

4-الحقوق والواجبات

شكَّل الإسلام إطاراً قانونياً واجتماعياً جديداً للحقوق والواجبات في السودان الغربي، حيث أسس منظومة متكاملة جمعت بين الثوابت الشرعية والمرونة مع الأعراف المحلية. في الجانب القضائي، أحدث الإسلام تحولاً جوهرياً بإنشاء محاكم شرعية ترأسها طبقة من القضاة والفقهاء الذين تولوا الفصل في النزاعات وفق المذهب المالكي، مع الاحتفاظ ببعض الصلاحيات للزعماء القبليين في القضايا العرفية البسيطة. وقد سجل خالدي أن هذه المحاكم ركزت على قضايا الميراث والزواج والعقود التجارية، مما وفر حماية قانونية لم تكن موجودة في العصر الوثني.[2]

في مجال حقوق المرأة، منح الإسلام النساء حقوقاً في الملكية والميراث، حيث أصبحت المرأة تستحق نصف حصة الرجل وفقاً للشريعة، وهو تقدم ملحوظ مقارنة بالأعراف السابقة التي كانت تحرمها تماماً. لكن تطبيق هذه الحقوق اختلف حسب البيئة الاجتماعية، ففي المدن الكبرى مثل

[1] فردوس، المرجع السابق، ص 128
[2] خالدي، المرجع السابق، ص 187

تمبكتو وجني، حصلت النساء على حقوقهن الإرثية تحت رقابة القضاة، بينما استمرت بعض القبائل في المناطق النائية في حرمان النساء من الميراث بحجج عرفية. [1]

أما في المجال الاقتصادي، فقد كفل الإسلام حقوق التجار عبر تنظيم العقود وحظر الربا، مما عزز الثقة في الأسواق. يذكر خالدي أن الوثائق التجارية في تمبكتو تضمنت شروطاً مفصلة تحفظ حقوق البائع والمشتري، مع وجود شهود عدول لتوثيق المعاملات. كما فرض الإسلام واجبات مالية جديدة مثل الزكاة التي أعادت توزيع الثروة، حيث خصصت لأصناف محددة كالفقراء والمساكين وعابري السبيل. [2]

برزت الواجبات الاجتماعية كركن أساسي في التماسك المجتمعي، حيث ألزم الإسلام الأفراد بكفالة الأرامل والأيتام، وهو ما تجسد في أوقاف المساجد والمدارس التي سجلها السعدي في تاريخ السودان[3]. كما أصبحت الضيافة واجباً دينياً واجتماعياً، خاصة تجاه التجار والعلماء الوافدين، حيث خصصت بيوت الكنتين غرفاً كاملة للضيوف وزودوها بالمؤن.[4]

لكن هذه الحقوق لم تكن متساوية لجميع الفئات؛ فالعبيد – رغم تحسين أوضاعهم تحت الشريعة – ظلوا يُباعون في أسواق النخاسة، خاصة أسرى الحروب من القبائل غير المسلمة. كما أن الطبقات الدنيا واجهت صعوبات في المطالبة بحقوقها أمام النخب القبلية رغم الضمانات القانونية. [5]

هذه المنظومة الجديدة خلقت توازناً دقيقاً بين الحقوق الفردية والمسؤوليات الجماعية، لكنها ظلت رهينة القوة التنفيذية للدولة ومدى التزام الزعماء المحليين بالشريعة. ففي عهد الممالك القوية مثل مالي وسونغاي، انتظمت الحقوق والواجبات، بينما تراجعت في فترات الضعف لصالح العرف القبلي.

[1] فردوس، المرجع السابق، ص 132
[2] خالدي، المرجع السابق، ص 188
[3] السعدي، المرجع السابق، ص 89
[4] فردوس المرجع السابق، ص 129
[5] الوزان، المرجع السابق، ص 170

5-المناسبات وكيفية الاحتفال بها

شهدت طقوس الاحتفال في السودان الغربي تحولاً جوهرياً بعد دخول الإسلام، حيث اندمجت الأطر الإسلامية الجديدة مع التراث المحلي لتشكيل نسيج احتفالي فريد. وفقاً لبن بحان وعبد الرحمن، حلّت الأعياد الإسلامية محل الطقوس الوثنية السابقة، فأصبح عيدا الفطر والأضحى محوراً للفرح الجماعي، يرتدي خلاله السكان الملابس البيضاء ويُكبّرون جماعةً قبل التوجه إلى مصلى العيد. وقد لاحظ ابن بطوطة في رحلته إلى مالي كيف تحولت هذه المناسبات إلى مظاهر شاملة يشارك فيها المسلمون وغيرهم، انطلاقاً من قيم الكرم الإسلامي التي تجسدت في توزيع لحوم الأضاحي على الفقراء والأقارب[1]

لم تقتصر الاحتفالات على الأعياد فحسب، بل شملت مناسبات دينية أخرى مثل ختم القرآن الذي تحول إلى حدث مجتمعي يُكرّم فيه المعلمون ويُوزع الطعام والهدايا، مما حوّله إلى حافز لتشجيع التعليم الديني. كما انتشر الاحتفاء بالمولد النبوي في المدن الكبرى كتمبكتو، حيث رعاه حكام مثل الأشكيا الحاج محمد لدوره في تعزيز الانتماء الإسلامي عبر إنشاد القصائد الدينية وقراءة السيرة النبوية.[2]

استُغلت هذه المناسبات كجسور للتماسك الاجتماعي بين القبائل، ففي عهد المختار الكنتي الكبير، أصبحت الأعياد منصات لتبادل الهدايا والمراسلات مع قبائل "أولاد عبد الله" و"التوارزة" و"بني حسان"، حيث كانت تُرسل الكتب المذهبة والتمور والأقمشة الفاخرة كـ "الطاري" رمزاً للتحالفات السياسية. كما حافظ المجتمع على بعض احتفالاته الزراعية بعد أسلمتها، مثل طقوس الاستسقاء التي تحولت إلى تجمعات للدعاء في المساجد بدلاً من التراتيل الوثنية، يليها توزيع المحاصيل على الفقراء[3]

[1] بن بحان وعبد الرحمن، المرجع السابق، ص 15
[2] السعدي، المرجع السابق، ص 89
[3] الوزان، المرجع السابق، ص 167

برز التفاوت بين الريف والحضر في تبني هذه الممارسات، فبينما التزمت المدن بالطقوس الإسلامية البحتة، حافظت القبائل الريفية كـ"الصوصو" على عناصر من تراثها كالرقصات في الأعراس، مع إدخال التكبيرات أحياناً. لكن انتشار الخلاوي القرآنية ساهم تدريجياً في توحيد هذه الممارسات.

مثلت الاحتفالات في السودان الغربي نموذجاً حياً لتفاعل الإسلام مع الموروث المحلي، حيث نجحت في استبدال الطقوس الوثنية بأطر إسلامية مرنة دون إلغاء كامل للهوية الأفريقية. فتحولت من مجرد مناسبات دينية إلى أدوات فعالة لتعزيز التماسك الاجتماعي وترسيخ التحالفات السياسية، كما تجلى في شبكة العلاقات التي نسجتها قبيلة كنتة عبر تبادل الهدايا في الأعياد. كما ساهمت في صياغة هوية إسلامية–أفريقية مميزة، تجلت في رموز مثل "الملابس البيضاء" التي جمعت بين الحشمة الإسلامية وخصائص الأزياء المحلية. هذا المزج بين الأصالة والمعاصرة جعل الاحتفالات قناة لأسلمة المجتمع وتعزيز القيم الجمعية تحت مظلة الإسلام، مع الحفاظ على الروابط التراثية التي شكلت وجدان المنطقة لقرون.

6–الأحوال الشخصية (الزواج –الطلاق – الميراث)

1–الزواج

قبل دخول الإسلام، كان نظام الزواج في السودان الغربي يعتمد على العادات القبلية الوثنية، حيث سادت تقاليد مثل تعدد الزوجات دون ضوابط شرعية، وزواج الصَّدَاقَة (مقايضة النساء بين القبائل)، وغياب مفهوم الإشهاد أو الولي. ومع انتشار المذهب المالكي في المنطقة بدءاً من القرن الخامس الهجري (11م)، بدأت تتبلور مفاهيم الزواج الشرعي استناداً إلى تعاليم الإسلام.

تشير بعض المصادر إلى أن التجار والدعاة المغاربة لعبوا دوراً رئيسياً في نشر قواعد الزواج الإسلامي، مثل اشتراط الإشهاد، والمهر، ورضا الزوجين.[1]

[1] سعيدة علالي، جهود فقهاء المالكية العلمية وأدوارهم السياسية في السودان الغربي خلال القرن (5-11هـ /11-17م)، 2022-2023، ص 22

كما أن الرحالة ابن بطوطة، الذي زار مملكة مالي عام 753هـ/1352م، أشار إلى التزام السكان بالعقود الشرعية في الزواج، خلافاً لما كان سائداً في العهد الوثني. وقد ساهم فقهاء المالكية في ترسيخ هذه المفاهيم من خلال تدريس كتب مثل "الموطأ" للإمام مالك و"المدونة" لسحنون، التي انتشرت في حواضر العلم مثل تمبكتو وجاو.[1]

2- الطلاق

في العصر الوثني، كان الطلاق بيد الرجل دون قيود، مما أدى إلى انتشار الظلم الاجتماعي، خاصة تجاه النساء. لكن مع سيادة المذهب المالكي، أصبح الطلاق يخضع لضوابط شرعية صارمة، مثل:

- العدة)لفترة محددة قبل انفصال الزوجين نهائياً.(
- الإشهاد على الطلاق لمنع العبث به.
- حقوق المرأة المطلقة، كالنفقة والسكنى خلال العدة.

يذكر القاضي محمود كعت في كتابه "تاريخ الفتاش "أن محاكم السودان الغربي في عهد مملكتي مالي وصنغاي كانت تطبق هذه الضوابط، بل إن بعض القضاة مثل حمود بن عمر آقيت (ت 955هـ/1548م) اشتهروا بالحكم بالعدل في قضايا الطلاق. كما أن الأسكيا محمد (حاكم وصنغاي) كان يستشير الفقهاء في قضايا الأسرة، مما يدل على أهمية البعد الشرعي في التنظيم الاجتماعي.[2]

3- الميراث:

كان نظام الميراث في المجتمعات الوثنية يُحرِّم النساء والأطفال الصغار، حيث كانت الثروة تنتقل إلى الذكور البالغين فقط. لكن الإسلام، وبخاصة عبر المذهب المالكي، أدخل تحولاً جذرياً عبر:

- توزيع الأنصبة وفق القرآن الكريم للذكر مثل حظ الأنثيين.

[1] علالي سعيدة، المرجع السابق، ص 40
[2] علالي سعيدة، المرجع السابق، ص 65-70

- اعتبار المرأة وارثة شرعية، خلافاً للعرف السابق.
- حماية حقوق القصر عبر نظام الوصاية.

وقد سجل المؤرخ عبد الرحمن السعدي في "تاريخ السودان "أن هذه القواعد طُبِّقت فعلياً في مملكة صنغاي، خاصة بعد قدوم الفقيه عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1503م)، الذي أشرف على إصلاحات قضائية شملت قضايا الميراث. كما أن عالم تمبكتو أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1627م) ألَّف رسائل حول "أحكام المواريث"، مما يدل على استقرار هذه المفاهيم في المجتمع [1].

شكَّل دخول الإسلام نقلة نوعية في الأحوال الشخصية بالسودان الغربي، حيث حلَّت الضوابط الشرعية محل العشوائية الوثنية. ورغم بقاء بعض العادات القديمة، فإن الفقهاء المالكية نجحوا في تكريس مفاهيم الزواج والطلاق والميراث وفق الشريعة، مستندين إلى مراجع مثل المدونة والموطأ .كما أن القضاء الإسلامي في دولتي مالي وصنغاي لعب دوراً حاسماً في حماية حقوق النساء والأطفال، مما يعكس عمق التأثير الاجتماعي للإسلام في المنطقة.

[1] نور الدين شعباني، دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين 59 هـ 11-156م ، مجلة كان التاريخية، ع 14. ص 182.

خلاصة الفصل:

شكَّلت العناصر الفاعلة في مجتمع السودان الغربي خلال الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والثامن الهجريين (11م–14م) نواةً أساسيةً للتحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المنطقة. فالفقهاء والعلماء، بوصفهم حَمَلةَ المعرفة الشرعية، لم يقتصر دورهم على التعليم الديني فحسب، بل امتد ليشمل القضاء والإفتاء والوساطة الاجتماعية والسياسية، مما منحهم مكانةً مركزيةً في صياغة الهوية الإسلامية للمجتمع. وقد استفاد هؤلاء العلماء من الهجرات العلمية القادمة من المغرب الإسلامي، حيث أسسوا مدارس ومساجد وزوايا أصبحت مراكز إشعاعٍ لنشر المذهب المالكي وتعزيز القيم الإسلامية. كما لعب القضاة دورًا محوريًا في ترسيخ العدالة الاجتماعية من خلال تطبيق الأحكام الشرعية، خاصة في مجالات الأحوال الشخصية والنزاعات القبلية، مما ساهم في استقرار المجتمع وتقوية نسيجه الأخلاقي.

أما التجار، فقد تجاوز دورهم النشاط الاقتصادي إلى التأثير الثقافي والديني، حيث كانوا جسورًا للتواصل بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، ناقلين مع بضائعهم تعاليم الإسلام وعاداته. وقد ساهموا في بناء المساجد والمدارس، ورسَّخوا قيمَ التعاملات العادلة، مما جعلهم عناصرَ فاعلةً في أسلمة المجتمع. وفي هذا السياق، شهدت مكانة المرأة تحولًا ملحوظًا، حيث منحها الإسلام حقوقًا قانونيةً وإرثيةً لم تكن تتمتع بها في العصر الوثني، كما فتح أمامها أبوابًا محدودةً للتعليم والمشاركة الاقتصادية، خاصة في الأوساط الحضرية المرتبطة بالنخب العلمية والتجارية. ومع ذلك، ظلَّت هذه المكانة محكومةً بالأطر الاجتماعية السائدة، والتي تفاوتت بين الريف والحضر وبين الطبقات المختلفة.

أما على مستوى التنظيم الاجتماعي، فقد شكَّل الإسلام إطارًا جديدًا للعلاقات بين الأفراد والجماعات، حيث أدخل مفاهيمَ الحقوق والواجبات التي نظَّمت الحياة الأسرية والاقتصادية. ففي مجال

الأحوال الشخصية، حلَّت عقود الزواج الشرعي محلَّ الممارسات العرفية، كما خضع الطلاق لضوابطَ تحفظ حقوق المرأة، بينما نظَّم الميراث توزيع الثروات وفقًا لأحكام الشريعة. وفي الجانب الثقافي، أسهم الإسلام في تحويل العادات والتقاليد، حيث دمج المناسبات الدينية مثل الأعياد وختم القرآن مع الموروث المحلي، مما خلق هويةً اجتماعيةً جديدةً تجمع بين الأصالة الإسلامية والخصوصية الأفريقية. كما ظهر هذا التفاعل في أنماط اللباس والطعام، حيث تبنت النخبُ الأزياءَ الإسلامية بينما حافظت بعض المناطق على ملامحها التقليدية.

وهكذا، يمكن القول إن الإسلام قد أحدث تحولًا جذريًا في بنية المجتمع السوداني الغربي، حيث انتقل من نظامٍ قبليّ وثنيّ إلى مجتمعٍ مهيكلٍ وفق قيم الشريعة ومعاييرها. وقد تميز هذا التحول بالتدريجية والمرونة، حيث تفاعلت التعاليم الإسلامية مع الأعراف المحلية دون إلغائها كليًا، مما أنتج نسيجًا اجتماعيًا فريدًا جمع بين الثوابت الدينية والخصوصيات الثقافية. وقد كان لهذا التفاعل دورٌ حاسمٌ في تشكيل الهوية الإسلامية للسودان الغربي، التي استمرت كإرثٍ حضاريّ مؤثرٍ حتى العصور اللاحقة.

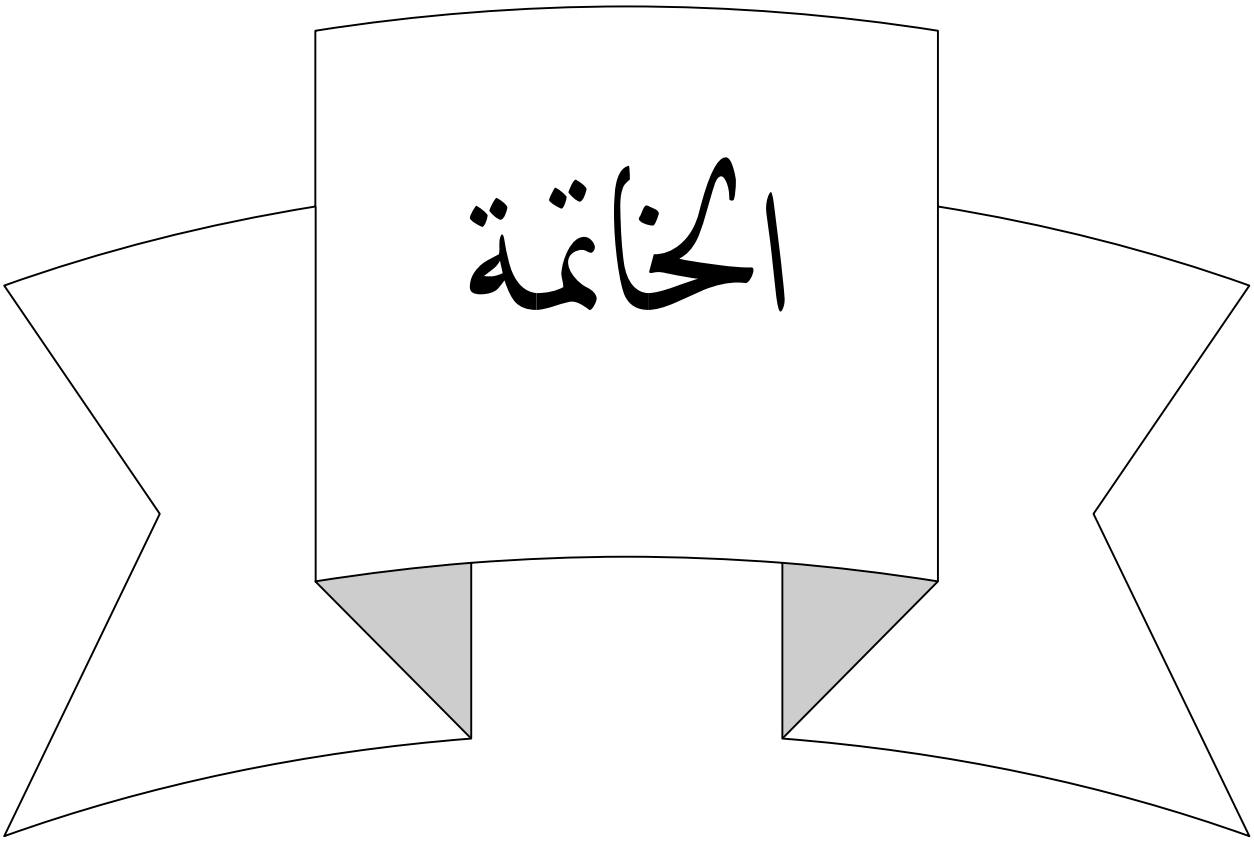
الخاتمة

لقد شهد مجتمع السودان الغربي بين القرنيين الخامس والثامن الهجريين، تحولا اجتماعيا ودينيا عميقا إثر انتشار الإسلام الذي غير بشكل جدري بنية الأسرة، وحررها من كثير من القيود التقليدية التي كانت تفرضها المعتقدات الوثنية والعادات القبلية. كان لهدا التحول دور كبير في إعادة صياغة مكانة الفرد في المجتمع سواء ذلك كان على مستوى حقوق وواجبات المرأة أو في تنظيم الأسرة والعلاقات داخلها.

بينما قدم الإسلام نموذجا جديدا في توزيع الحقوق والواجبات، إلا أن مجتمعات افريقيا جنوب الصحراء أو بالأحرى المجتمعات السودانية لم تخل من التفاعل بين التقاليد الوثنية والإسلامية. فقد كانت هناك فترات من التداخل الثقافي والديني. مما جعل التحول الديني والثقافي في السودان الغربي يتم تدريجيا، مع الاحتفاظ ببعض العادات المحلية جنبا إلى جنب والقيم الإسلامية الجديدة.

ورغم أن الإسلام أحدث تغيرات جذرية في نظم الأسرة، مثل تحسين وضع المرأة وتعزيز حقوقها، فقد استمرت بعض العادات والتقاليد المجتمعية التي تأثرت بالمعتقدات الوثنية. ومع ذلك، لا يمكن إنكار دور الإسلام الذي أرسى أسسا قوية تعزز العدالة الاجتماعية وساهم في تطور المجتمع السوداني الغربي نحو منظومة قيمية أكثر توافقا مع المبادئ الإنسانية العالمية.

وبذلك، يمكن القول إن هده الدراسة قد أكدت على أهمية الإسلام ليس فقط في تحول النظام الديني، بل في إعادة بناء الهياكل الاجتماعية والعائلية في السودان الغربي، مع الحفاظ على التواصل الثقافي بين القديم والجديد.

<u>أبرز النتائج:</u>

من أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هده الدراسة ما يلي:

- **التحول الاجتماعي الكبير في ظل الإسلام:** أظهرت الدراسة أن الإسلام أحدث تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية في السودان الغربي، خاصة من خلال إعادة تنظيم الأسرة، والتأكيد على حقوق وواجبات الأفراد وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية.

- **مكانة المرأة:** منح الإسلام المرأة حقوقا لم تكن موجودة في النظام الوثني، مثل حقوق الميراث، والاختيار في الزواج، والتحكم في مالها الخاص. وعلى الرغم من تأثير بعض العادات المحلية، **فإن** الإسلام ساهم في تحسين وضع المرأة داخل الأسرة والمجتمع.
- **تفاعل القيم الوثنية مع الإسلام:** رغم تأكيد الدين الإسلامي على مبادئ جديدة، إلا أن بعض العادات والتقاليد الوثنية استمرت لفترة طويلة بعد دخول الإسلام، مما يشير إلى أن التحول كان تدريجيا وأن هناك تداخلا ثقافيا بين المعتقدات القديمة ة الإسلامية.
- **دور العلماء والتجار والقضاة:** لعب العلماء دورا حيويا في نشر الإسلام، بينما كان التجار هم الناقلون الرئيسيون للثقافة الإسلامية. كما ساهم القضاة في تثبيت النظام القانوني الإسلامي في المجتمع.
- **الاستمرارية والدمج الثقافي:** أظهرت الدراسة أن العديد من المجتمعات الإسلامية في السودان الغربي دمجت بين التقاليد الإسلامية والتقاليد المحلية، مما نتج عنه نموذج فريد من الإسلام الإفريقي الذي يعكس مرونة في تبني القيم الدينية دون التفريط في الهوية الثقافية.

التوصيات:

- **دراسة أعمق للطبقات الاجتماعية المختلفة:**

يوصى بالقيام بدراسات ميدانية تفصيلية حول طبقات المجتمع المختلفة في السودان الغربي لفهم تأثير الإسلام على كل طبقة على حدة، خاصة في المناطق الريفية والحضرية.

- **تعميق البحث حول دور المرأة في التغيير الاجتماعي:**

يجب إجراء المزيد من الدراسات حول تأثير الإسلام في تمكين المرأة في السودان الغربي، لاسيما في مجالات التعليم والمشاركة السياسية والاجتماعية.

- **إبراز دور العلماء المحليين:** من المهم توثيق دور العلماء المحليين في نشر الثقافة الإسلامية وتفسير الشريعة بما يتوافق مع السياق الثقافي المحلي، وذلك لتسليط الضوء على جهودهم في التحول الاجتماعي.

- **التنقيب في المخطوطات والوثائق التاريخية:**

يوصى بتوسيع البحث في المخطوطات التاريخية والوثائق المحلية المتوفرة، والتي قد تحتوي على معلومات حيوية حول التحولات الدينية والاجتماعية التي مر بها المجتمع السوداني في هده الفترة.

الآفاق المستقبلية:

ا استكشاف المزيد من جوانب التفاعل الثقافي:

تشير الدراسة إلى أهمية دراسة التفاعل بين الإسلام والمعتقدات المحلية في مناطق أخرى من غرب إفريقيا، وهدا قد يساعد في فهم كيفية تطور النموذج الإسلامي الإفريقي في السياقات المتنوعة.

دراسة أثر الإسلام في المجتمعات المعاصرة:

يمكن أن يكون لهدا البحث أثر في فهم كيفية تأثير الإسلام على النظم الاجتماعية الحالية في السودان الغربي ودول غرب إفريقيا. وهدا يمكن أن يساهم في تحديد التحديات المعاصرة التي تواجه المسلم في تلك المناطق.

فتح المجال لدراسات مقارنة بين مناطق أخرى:

فتح المجال لدراسات مقارنة بين المجتمعات التي اعتنقت الإسلام في فترات مختلفة، ودراسة الطرق المختلفة التي تأثر بها المجتمع في سياقات أخرى مثل الحوض النيلي، والمجتمعات الساحلية في غرب إفريقيا.

قائمة

الملاحق

الملحق رقم 1: جندي سننكي, 1890.

الملحق رقم 2: صورة مانسا موسى كما وردت في الأطلس الكتالوني.

الملحق رقم 3: نانا بولوكو واحدة من أكثر الآلهة تأثيرا في لاهوت غرب إفريقيا.

الملحق رقم 4: بوغولان القماش الطين.

الملحق رقم 5: مناجم بامبوك.

الملحق رقم 6: جانب من الرقص المانديغني.

الملحق رقم 7: واحدة من آلات الكيتا.

الملحق رقم8: مصباح طيني يعمل بزيت النخيل.

الملحق رقم 9:

دراسة مقارنة عن الأسرة والمجتمع في السودان الغربي بين الوثنية والإسلام (5ه- 8ه)

أولا : مفهوم الأسرة :

المحور	في الوثنية	في الإسلام
الأساس القانوني	العرف و التقاليد المحلية	عقد شرعي موثق وفق الشريعة
مكانة المرأة	ضعيفة – تخضع للسلطة الذكورية	مكرمة – لها حقوق الزواج والطلاق والميراث
تعدد الزوجات	دون ضوابط	مسموح بحد أقصى أربع زوجات وفق شروط
الطلاق	نادر أو عرفي	منظم بقواعد شرعية
تربية الأبناء	مسؤولية جماعية قبلية	مسؤولية الأب و الأم داخل إطار شرعي

ثانيا : بنية المجتمع :

المحور	في الوثنية	في الإسلام
التراتبية	قائمة على النسب والقبيلة	قائمة على التقوى و العلم
القيادة	وراثية تتخذ من الملوك زعماء دينيين	خاضعة للشرع ،تميز بين السلطة الدينية و المدنية
العدالة	عرفية غير موحدة	قائمة على الشريعة و القضاء الإسلامي
العلاقات الاجتماعية	خاضعة للسحر والشعوذة	منظمة بالتكافل و الزكاة و التراحم

ثالثا : دور المرأة :

المحور	في الوثنية	في الإسلام
مكانتها	ثانوية – تخضع لأعراف الذكورية	مكرمة – لها ذمة مالية وشخصية مستقلة
الزواج	يمكن أن يتم عبر البيع أو الطقوس السحرية	يتم عبر الإيجاب و القبول و المهر
الإرث	محرومة غالبا	لها نصيب معلوم شرعا
الوظائف الاجتماعية	منزلية أو طقوسية (ككاهنة أو عرافة)	معلمة ،فقيهة، أم ، زوجة، ذات أثر اجتماعي

رابعا : القيم الاجتماعية :

المحور	في الوثنية	في الإسلام
مرجعية القيم	تقاليد الآباء و الأجداد	القرآن و السنة
الروابط	قبلية و دموية	دينية و عقدية (أخوة إيمانية)
وسائل ضبط السلوك	الخوف من الأرواح و السحر	الضمير الديني ، المحاسبة الإلهية ،القضاء الشرعي

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي: (ت779ه/ 1377م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة** تحفة **النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم بيروت، ط 1 ,مج 1, 1987م.

2- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي:(ت380ه/ 990م)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان,1996م.

3- ابن خلدون عبد الرحمان: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ج6.

4- الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني :(ت560ه/1164م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مج1, 2002م.

5- البكري أبو عبيد الله :(ت487ه/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، جزء من **كتاب المسالك والممالك** دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بيروت، د-ط،د-س.

6- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: (ت626ه/1229م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، مج4, 1977م.

7- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض **المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2 ,بيروت, 1984م.

8- السعدي عبد الرحمان عبد الله بن عمران بن عامر: تاريخ **السودان**، تحقيق هوداس دولافوس، المدرسة البارزية للألسن الشرقية، باريس , 1981م.

9- القلقشندى أبو العباس أحمد: (ت861ه/ 1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج5, 1915م.

10- كعت محمود بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي الوعكي: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، باريس , 1964م.

11- الوزان حسن بن محمد الفاسي: المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

المراجع:

المراجع العربية:

1- باري محمد علي وكريديه سعيد إبراهيم، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، د – ط، لبنان , 2007 م.

2- بن الحاج محمد، **الحياة العلمية في المغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر , 1982م.

3- بوعزيز يحي، **تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن العشرين**، دار هومة للنشر والطباعة، الجزائر ,2001م.

4- الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت , 1980 م.

5- حامد عمار، **علاقات مصر بالدول الإفريقية في العصور الوسطى**، ط1 , مكتبة الدراسات العربية، القاهرة , 1996م.

6- الحجوي الثعالبي محمد، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، المطبعة السلفية، القاهرة , 1932 م.

7- حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة في إفريقيا**، دار العمل العربي، القاهرة , 1986 م.

8- خالدي مسعود، **أثر الجاليات العربية والبربرية على الحياة الاجتماعية في السودان الأوسط والغربي بين** القرنين **5 و10ه/11و16م** , 2013م.

9- دافيد سون باسيل، **إفريقيا قبل الاستعمار الأوروبي**، تر: كمال دسوقي، دار العربي، بيروت , 1981 م.

10- الدالي الهادي مبروك، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من القرن 15إلى القرن 18م**، ط1 , الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ,1999م.

11- الدالي الهادي مبروك، **مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا**، ط1 ,دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت ,2001م.

12- دندش عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430 – 515 ه / 1038 – 1121 م)**، ط1 , دار الغرب الإسلامي، لبنان , 1988 م.

13- ريموند / جون، **المرأة في إفريقيا التقليدية**، تر: عائشة عبد الرحمان، دار الهلال، القاهرة ,1988 م.

14- زبادية عبد القادر، **مملكة سنغاي في عهد الأشقياء**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر , 2000م.

15- الزرويل صالح، **التجارة الإباضية ودورها في نشر الإسلام بالسودان الغربي من خلال المصادر الإباضية**، عصور 1-2-3, 2024م.

16- سالم عبد العزيز، **تاريخ المغرب الكبير** (العصر **الإسلامي**)، ج2 , دار النهضة العربية، بيروت, 1971م.

17- شكري أحمد، **الإسلام** والمجتمع **السوداني لإمبراطورية مالي** (1230 – **1430 م**)، المجتمع الثقافي، د-ط ,1999م.

18- شكري أحمد، **الإسلام** والمجتمع **السوداني**، ط 1 , دار الرشاد، الرباط , 1985 م.

19- شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط2 , ج6 , مكتبة النهضة المصرية، القاهرة , 1975 م.

20- طاهر أحمد، **إفريقيا فصول من الماضي والحاضر**، دار المعارف، القاهرة، د- ط.

21- الطرابلسي محمد، **النظام السياسي** والاقتصادي **في إمبراطورية مالي**، دار الجنوب، تونس , 1990 م.

22- طرخان إبراهيم علي، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، الهيئة العامة للتأليف والنشر, 1390ه/1970 م.

23- طلحة جبريل، **التحولات الاجتماعية في السودان الغربي قبل الإسلام** وبعده، دار الفكر , 2002 م.

24- طلحة جبريل، **مظاهر التحول السياسي في غرب إفريقيا قبل الإسلام** وبعده، دار الفكر , 2002 م.

25- طلحة جبريل، **مظاهر الحياة في السودان الغربي قبل الإسلام**، دار الفكر , 2002 م.

26- الطيب محمد سعيد، **الأنظمة الاجتماعية والدينية في غرب إفريقيا الوثنية**، جامعة أم درمان , 2004 م.

27- الطيب محمد سعيد، **الأنظمة الاقتصادية في غرب إفريقيا قبل الإسلام**، جامعة أم درمان, 2005 م

28- الطيب محمد سعيد، **الأنظمة السياسية في غرب إفريقيا قبل الإسلام**، جامعة أم درمان , 2005 م.

29- الطيب محمد سعيد، **العائلة والدين في مجتمعات غرب إفريقيا الوثنية**، جامعة أم درمان , 2008 م.

30- الطيب محمد سعيد، **المرأة والدين في غرب إفريقيا التقليدية**، جامعة أم درمان , 2004 م.

31- العربي إسماعيل، **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ,1948م.

32- عطا الله الجمل شوقي، **الأزهر دوره السياسي والحضاري في إفريقيا**، الهيئة النسوية للكتاب , 1988م.

33- عطا الله الجمل شوقي، **تنبكت وعلاقتها بالمغرب**، ضمن **كتاب المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة ندوات ومقالات (2)، الرباط , 1992 م.

34- علالي سعيدة، **جهود فقهاء المالكية العلمية وأدوارهم السياسية في السودان الغربي خلال القرن (5- 11ه/ 11- 17م)**.

35- فانسين جان، **تاريخ إفريقيا قبل الاستعمار**، تر: فهد محي الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة , 2002 م.

36- قداح نعيم، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، تر: عمر الحكيم، كناكري، مكتبة الأطلس، دمشق , 1969 م.

37- قوادي عمر، **البنى التقليدية للمجتمع في السودان الغربي قبل الإسلام**، معهد الدراسات الإفريقية، نوا كشط , 1994 م.

38- لوف ديفيد، **تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء قبل الاستعمار**، مطبعة كمبردج، لندن , 1974 م.

39- ليفرين – ن، **الإسلام في غرب إفريقيا**، تر: أحمد محمد خليفة، دار الآفاق الجديدة، بيروت , 1981 م.

40- الماجد محمد، **الدين والمجتمع في إفريقيا قبل الإسلام**، مركز الدراسات الإفريقية , 2001 م.

41- مطر غيث أحمد سعد، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، د-ط , 2004 م.

42- المنجد صلاح الدين، **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان, 1982م.

43- مؤنس حسن، **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة , 1957م.

44- نياتي (ج- ت)، **مالي** والتوسع **الثاني للملنديغ**، تاريخ إفريقيا العام، باليونسكو، بيروت، مج 4 , إفريقيا من القرن 12إلى 16 , 1988م.

45- نياتي (ج – ت)، **تاريخ إفريقيا العام**، ج4 , اليونسكو , 1984 م.

46- نيان ديودوفي، **تاريخ إفريقيا العام**، الجزء 2 , تر: علي إبراهيم، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، اليونسكو , 1990 م.

47- الهريسي عبد الله، **تاريخ السودان الغربي من الوثنية إلى الإسلام**.

48- الهمداني ابن عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن الفقيه، **البلدان**، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت , 1416 ه / 1996 م.

المراجع الأجنبية:

1- avidcon B,African Kimgdons,(New yourk : timo_life books, 1971 .

2- Fortes meyer , the web if kinship among thtallent , Oxford Universty press,London ,1949 .

3- **Levtzion, N.** (1980). *Ancient Ghana and Mali.* Methuen.

4- **Levtzion, N., & Hopkins, J. F. P. (Eds.).** (1981). *Corpus of Early Arabic Sources for West African History.* Cambridge UniversityPress.

5- Murdock gorge peter , Africa :its peoples and ther culture history MCG raw-hill BOOK company , Now youk , 1959 .

6- **Robinson, D.** (2004). *Muslim Societies in African History.* Cambridge UniversityPress.

7- **Saad, E. N.** (1983). Social History of Timbuktu: The Role of Muslim Scholars and Notables 1400-1900. Cambridge University Press.

8- Triminghamj , s,pencer , A History of Islam in west Africa Ox ford 1970 .

9- Vanscna Jan , puthsin the rainforest toward a history of political tradition in equatorial Africa , university of Wisconsin pves Madison 1990 .

الرسائل الجامعية:

1- حناني فردوس، محمد خليفة الكنتي (1179 – 1242 ه/ 1765 – 1826 م) حياته وآثاره التاريخية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران , 2008 – 2009 م.

2- مولاي محمد، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن 9ه حتى 12ه (15 – 18 م) , كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، أطروحة دكتوراه , 2018 – 2019 م.

المجلات والدوريات:

1- بن بحان محمد ونواصر عبد الرحمان، التأثيرات الإصلاحية لقبيلة كنته في السودان الغربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة البحوث والدراسات العلمية، المجلد 19 , العدد 1 , جامعة تامنغست، الجزائر , 2025 م.

2- بن فارح ميهوب، دور الفقهاء المغاربة في نشر العلوم الشرقية في بلاد السودان الغربي القرن (5 – 10 ه / 11 – 16)، مجلة الباحث، العدد 17 , 2021 م.

3- زبادية عبد القادر، السودان الغربي وممالكه الإسلامية الكبرى، مجلة التاريخ، العدد 9 , الجزائر , 1980 م.

4- شعباني نور الدين، دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنيين (5 – 9 ه / 11 – 15 م)، مجلة كان التاريخية، العدد 14.

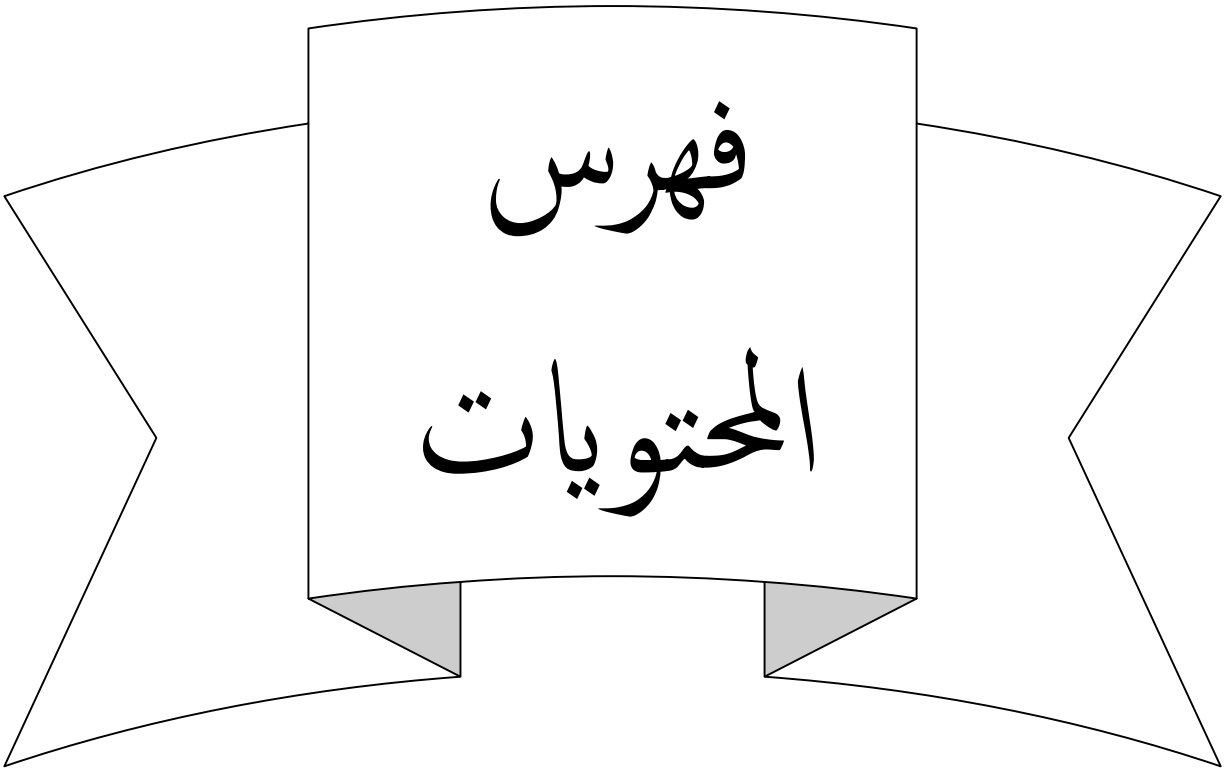
فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات

- **شكر وعرفان**
- **الإهداء**
- **قائمة المختصرات**
- **قائمة الملاحق**
- **الملخص**

مقدمة ..... أ- و

الفصل الأول:

مملكتي غانا ومالي من التأسيس إلى السقوط

أولا: مملكة غانا 3

1- التأسيس 4

2- مظاهر قوة الدولة وتمكينها 6

3- أسباب سقوطها 9

ثانيا: مملكة مالي 12

1- التأسيس 13

2- مظاهر قوة الدولة وتمكينها 16

3- أسباب سقوطها 19

خلاصة الفصل 21

الفصل الثاني:

الأسرة والمجتمع في ظل النظام الوثني

أولا: الأسرة في المجتمعات الوثنية 24

1- أسس العلاقات الزوجية الوثنية 25

2- أدوار المرأة والرجل 27

ثانيا: المجتمع الوثني في السودان الغربي 29

1 – طبقات المجتمع 29

2 – تنظيمات المجتمع 31

3 – القبيلة الوثنية ونظامها 32

ثالثا: التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع الوثني 36

1- التنظيم الاجتماعي 36

2- التنظيم الاقتصادي 38

3- التنظيم السياسي 40

خلاصة الفصل 42

الفصل الثالث:

الأسرة والمجتمع في ظل الإسلام

أولا: العناصر الفاعلة في المجتمع 45

1- الفقهاء والعلماء 45

2- القضاة 46

3- التجار 48

ثانيا: مكانة المرأة المسلمة في السودان الغربي 50

ثالثا: التنظيم الاجتماعي 53

رابعا: الإسلام والتحولات الاجتماعية في مجتمع السودان الغربي 57

1- العادات والتقاليد 57

2- اللباس 59

3- الأكل 60

4- الحقوق والواجبات 61

5- المناسبات وكيفية الاحتفال بها 63

6- الأحوال الشخصية (الزواج – الطلاق – الميراث) 64

خلاصة الفصل 67

الخاتمة 70

الملاحق..... 74

قائمة المصادر والمراجع 80

فهرس المحتويات 87

الملخص:

تناول هذا البحث التحولات التي طرأت على بنية الأسرة والمجتمع في السودان الغربي خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري , وهي مرحلة تميزت بالانتقال من النظم والعادات الوثنية إلى منظومة القيم الإسلامية .وقد ركزت الدراسة على تأثير الإسلام في إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة , مثل تنظيم الزواج والميراث ,وتحسين مكانة المرأة, وتعزيز دور القيم الأخلاقية والدينية في الحياة العامة .كما أبرزت الدراسة دور الفقهاء والدعاة في نشر الإسلام وتعليم تعاليمه , مما ساهم في بناء مجتمع أكثر تماسكا وتوجها نحو العدالة والاستقامة . وقد تبين أن الإسلام لم يلغ كل التقاليد المحلية، بل تفاعل معها، مما أدى إلى نشوء نموذج اجتماعي فريد يجمع بين الأصالة المحلية والتوجيهات الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، المجتمع، السودان الغربي، الوثنية، الإسلام.

Abstract

This study explores the transformations in family and societal structures in west Africa(western Sudan) between the 5th and 8th centuries AH, a period marked by the transition from traditional pagan practices to Islamic norms and values. The research highlights the impact of Islam on reshaping familial relations - such as marriage regulations, inheritance laws, and the improved status of women and on promoting ethical and religious values in public life it also underscores the role of scholars and preachers in spreading Islamic teachings which contributed to building a more cohesive and morally guided society. rather than completely eradicating local traditions, Islam interacted with them , resulting in a unique socio - cultural model that blended indigenous customs with Islamic principles.